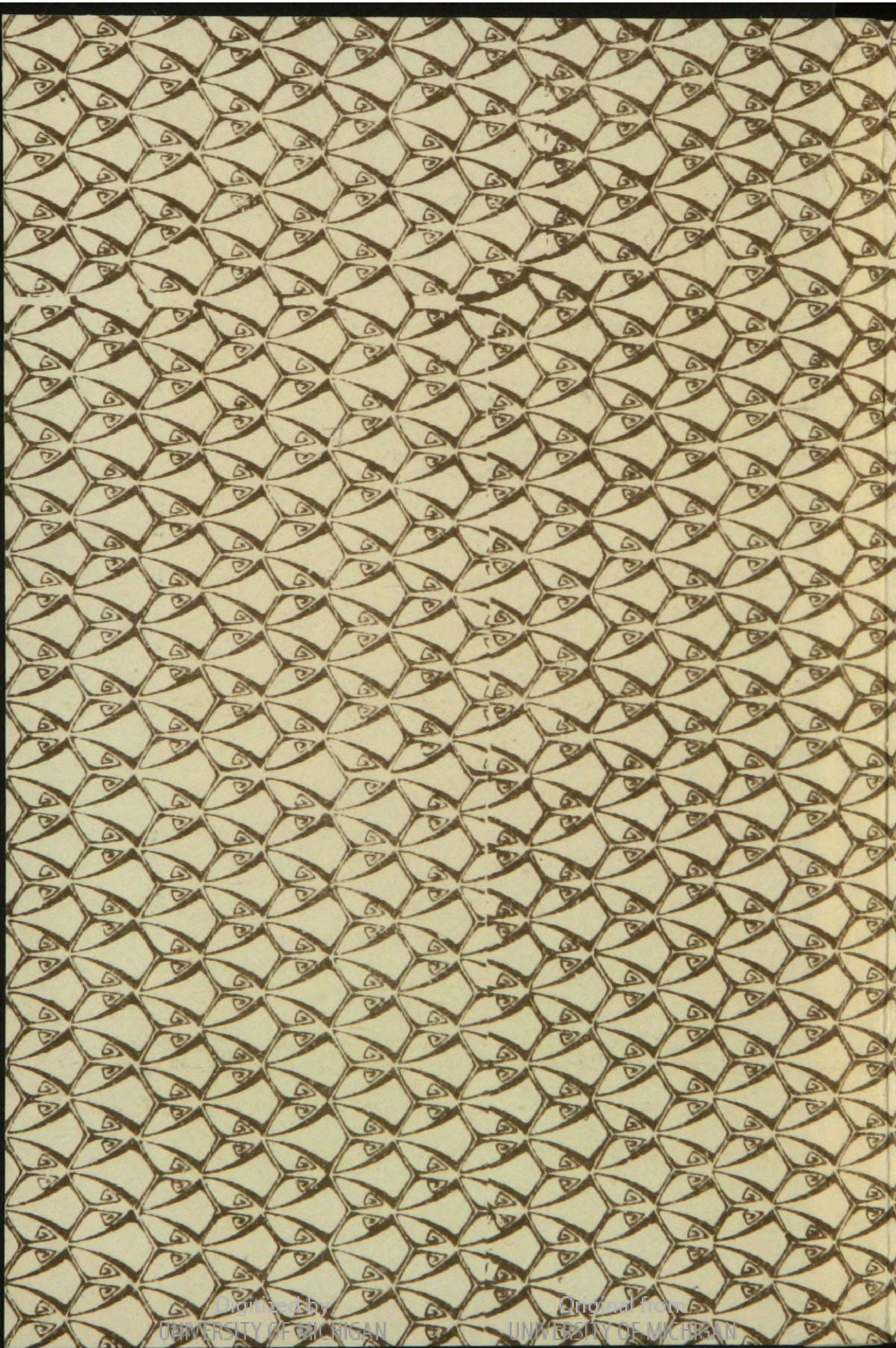
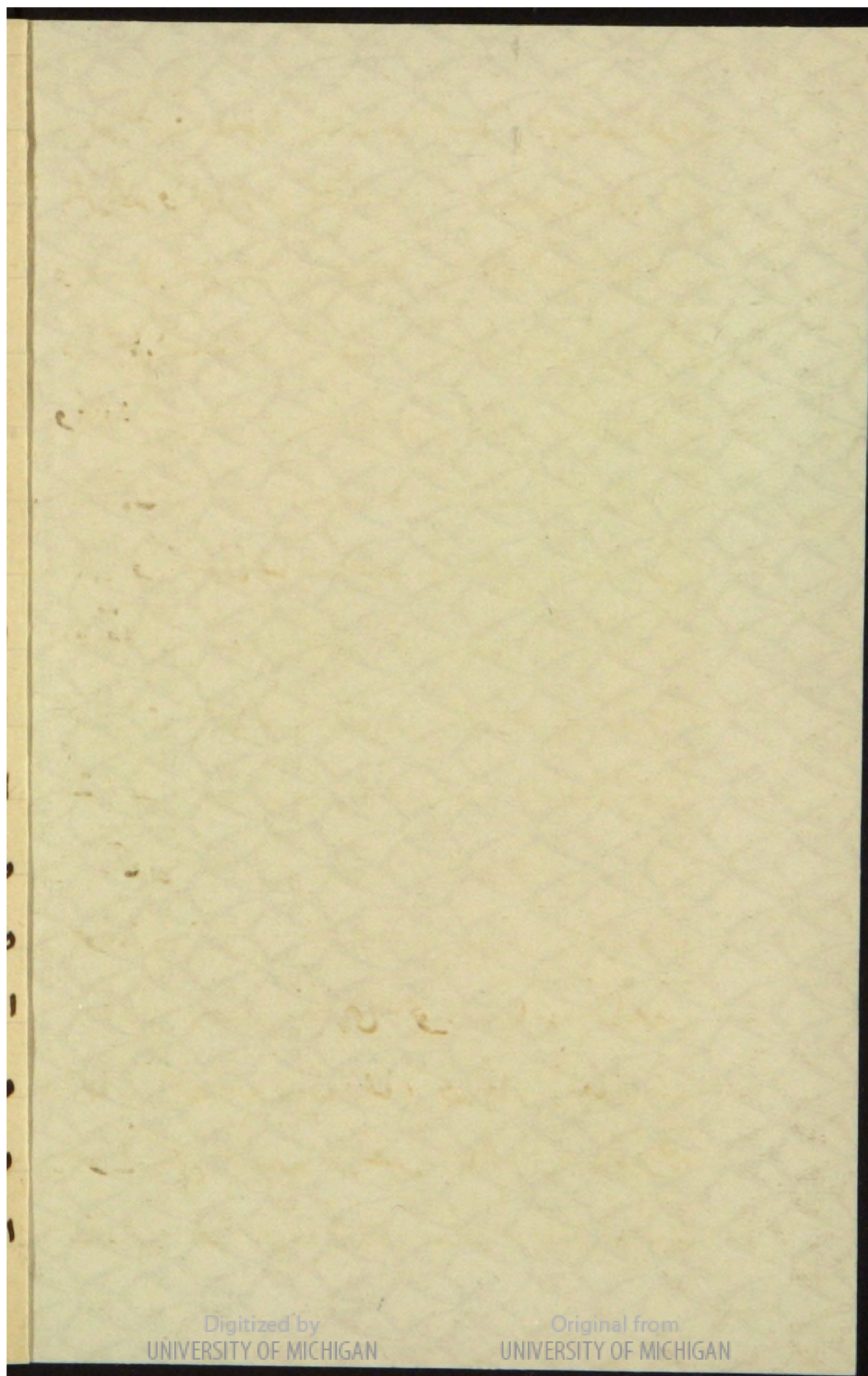
قواعد صوفية





١

قواعد صوفية لزروق

لانه علمنا مضبوط بالكتاب والسنة اخذ لهذا المذهب
بالزهد والورع لا بالدعاوى التصوف اوله علم
واوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم يكشف عنه المراد
والعمل يعينه على الطلب والموهبة تبلغ غاية الأمل
واهله على ثلاث طبقات مريد طالب ومتوسط سائر
ومنتهى واصل فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب
حال والمنتهى صاحب يقين وافضل الاشياء عندهم
الانفاس فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع
المرارات ومجانبة الحظوظ وما للنفس فيه تبع ومقام
المتوسط ركوب الاهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق
واستعمال الادب في المقامات وهو طالب بآداب المنازل
وهو صاحب تلوين لانه ينتقل من حال الى حال وهو
الزيادة ومقام المنتهى الصحو والثبات والتمكين
واجابة الحق من حيث دعاه قد تجاوز المقامات
وهو في محل التمكين لا تغيره الاحوال ولا تؤثر فيه
الاحوال قد استوى في حالى الشدة والرخاء والمنع والعطاء



فصل ، اعلم ان الوقوف مع الخلق والنفس حجاب
عن الحق ورؤية الافعال شرك لان افعال
العباد مضافة الى الله تعالى خلقا وايجادًا
والى العبد كسبا ليثاب على الطاعة ويعاقب على
المعصية فحين تعلق قدرة العبد بشئ يوجده
الاقتدار الالهى فيسمى كَسَبًا هذا مذهب اهل السنة:
فقدرة العبد عند مباشرة العمل لا قبله فحين ما
يباشر العمل يخلق الله له اقتدارا عند مباشرته
فيسمى ذلك قدرة حادثة متعلقة بالمقدور
الحادث وسمى ذلك التعلق كسبًا فمن نسب
المشية والكسب الى نفسه فهو قدرى ومن
نفاهما عن نفسه فهو جبرى ومن نَسَبَ المشية

الى الله تعالى والكسب الى العبد فهو سنى
صوفى رشيد وفيه كلام طويل ليس هذا
موضعه وسيأتى قريبًا ان شاء الله تعالى
واما الانحراف عن العقيدة الصحيحة فلغلبة
الاهواء على القلوب والتعصب لمذهب
البدع قال بعض الأئمة رب اقوام تنجيهم
عقائدهم مع قلة عملهم ورب اقوام
تهلكهم عقائدهم مع كثرة عملهم وحب
الجاه والمال والدنيا سم قاتل والرياسة
والشهرة يورثان الكبر والدخول فى الدنيا
وهما سوس الدين قال بعضهم ما عملت
عملا واطلع عليه الناس الا اسقطته
واما طول الامل فانه يمنع من حسن العمل
ويصد عن الحق واما التسويف فهو من

اعظم جنود الشيطان واما الشح والهوى
واعجاب المرء بنفسه فهن من المهلكات
واما فحش الغذاء فانه يظلم القلب ويورث
القسوة والبعد من الله تعالى وبالعكس
منه طيب الغذاء فانه ينور القلب ويورث
الرقة والقرب من الله عز وجل قال الله
تعالى (يايها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم) والطيبات هي الحلال أطب
مطعمك ومشربك وما عليك أن لا تقوم
الليل ولا تصوم النهار وطيب المطعم
اصل كبير في طريق القوم ولو قام العبد
قيام السارية لم ينفعه ذلك حتى يعلم
ما يدخل جوفه واسرع الناس جوازا
على الصراط اكثرهم ورعا في الدنيا

يقول الله عز وجل (جوع ترني تورع تعرفني

تجرد تصل الي) ويقول سبحانه ايضا

(واما الورعون فاستحي ان اعذبهم) قال

بعض السادة من الاكابر " عليك بالعلم

والجوع والخمول والصوم فان العلم نور

يستضاء به والجوع حكمة قال ابو يزيد

(ما جعت لله يوما الا وجدت في قلبي

بابا من الحكمة لم اجده قبل ») والخمول

راحة وسلامة والصوم صفة صمدانية

ما مثلها شئ لقوله تعم (ليس كمثله شئ)

فمن تلبس بها اورث العلم والمعرفة والمشاهدة

ولذلك يقول الله عز وجل (كل عمل ابن ادم

له الا الصوم فانه لي وانا الذي اجزي به

ولخلوف فم الصائم اطيب عند الله من

رح المسلك) والاشتغال بالدنيا وغلبة
الشهوات على القلب يورث جميع الاوصاف
الذميمة ولا طمع في القرب ما لم تبدل
الصفات الذميمة بالحلى الحميدة قال بعضهم
ما دام العبد ملوثا بالغير فانه لا يصلح
للقرب والمجالسة وانه لن يصلح لذلك
حتى يطهر قلبه من السوى وقال آخر
لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن
لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم
دون غيره (فصل) اعلم ان ما سوى
الحق حجاب عنه ولولا ظلمة الكون لظهر
نور الغيب ولولا فتنة النفس لارتفعت
الحجب ولولا العوائق لانكشفت الحقائق
ولولا العلل لبرزت القدرة ولولا الطمع

لو سخت المحبة ولولا حظ باق لاحرق الارواح
الاشتياق ولولا البعد لشوهد الرب
فاذا انكشف الحجاب بحسم هذه الاسباب
وانكشفت العوائق بقطع هذه العلائق
بدا لك سر طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب النفس عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليك ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت على منكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه شهي الينا نثره ونظامه

قال بعضهم اذا اراد الله بعبد سوءا سد عليه
باب العمل وفتح عليه باب الكسل وجاء رجل
الى معاذ فقال اخبرني عن رجلين احدهما
مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه
ضعيف اليقين يعتوره الشك فقال معاذ
ليحبطن شكه اعماله قال فاخبرني عن رجل
قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في ذلك

كثير الذنوب فسكت فقال الرجل لئن
احبط شك الاول اعمال بره ليحبطن
يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ
بيده وقال ما رايت افقه من هذا ؞
فصل ؟ قال ابو يزيد البسطامي رضي
الله عنه امكثت اثنتي عشرة سنة
حداد نفسي وخمس سنين اجلو مراة
قلبي وسنة انظر فيما بينهما فاذا
في وسطي زنار فعملت في قطعه
خمس سنين انظر كيف اقطعه فكشف
لي فرايت الخلق موتى فكبرت عليهم اربع
تكبيرات) اهـ ومعنى هذا الكلام والله
اعلم انه عمل في مجاهدة نفسه وازالة
ادغالها وخبثها وما حشيت به من الكبر
والعجب والحرص والحقد والحسد وما شابه
ذلك مما هو من ما لوفات النفس فجهد الى

ازالة ذلك بان ادخل نفسه كير التخويف ثم
طرقها بمطارق الامر والنهى حتى اجهد ذلك
فظن انها قد تصفت ثم نظر فى مرآة
اخلاص قلبه فاذا بقايا من الشرك الخفى
وهو الريا والنظر الى الاعمال وملاحظة الثواب
والعقاب والتشوف الى الكرامات والمواهب
وهذا شرك فى الاخلاص عند اهل الاختصاص
وهو الزنار الذى اشار اليه فعمل فى قطعه
يعنى قطع نفسه وفطمها عن العلائق والعوائق
والاعراض عن القواطع حتى امات من نفسه
ماكان حيا واحيا ما كان ميتا وثبتت
قدمه فى شهود القدم وانزل ما سواه منزلة
العدم فعند ذلك كبر على الخلق اربع تكبيرات
لان حجاب الخلق عن الحق اربع النفس والهوى
والشيطان والدنيا فامات نفسه وهواه
ورفض شيطانه ودنياه فلذلك كبر على كل واحدة

تكبيرةً لانه هو الاكبر وما سواه الاذل الاصغر
ثم اعلم انك لاتصل الى منازل القربات حتى تقطع
ست عقبات العقبة الاولى فطم الجوارح عن المخالفات
الشرعية الثانية فطم النفس عن المالوفات العادية
الثالثة فطم القلب عن الرعونات البشرية الرابعة
فطم السر عن الكدورات الطبيعية الخامسة فطم
الروح عن البخارات الحسية السادسة فطم العقل
عن الخيالات الوهمية فتشرف من العقبة
الاولى على ينابيع الحكم القلبية وتطلع من
الثانية على اسرار العلوم اللدنية ويلوح لك من
الثالثة اعلام المناجاة الملكوتية ويلمع لك
في الرابعة انوار المنازلات القربية وتطلع لك في
الخامسة اقمار المشاهدات الحبية وتهبط من
السادسة على رياض الحضرة القدسية فاذا ادرك
بخصوصية الاصطفائية سقاك بكاس محبته شربة
فتزداد بذلك الشرب ظمأً وبالقرب طلبا وبالسكر

قلقاً فاذا تمكن منك هذا السكر ادهشك فاذا
ادهشك حيرك فانت ههنا فاذا دام لك
تحيرك اخذك منك وسلبك عنك فتبقى مسلوبا
مجذوبا فانت حينئذ مراد فاذا فنيت ذاتك
وذهبت صفاتك وفنيت ببقائه عن فنائك خلع
عليك خلعة (فبي يسمع وبي يبصر) فيكون هو
متوليك وواليك فان نطقت فباذكاره وان
نظرت فبانواره وان تحركت فباقداره وان
بطشت فباقتداره فهنالك تذهب الاثنينية
وتستحيل البينية فان رسخ قدمك وتمكن سرك
حال سكرك قلت هو وان غلب عليك وجدك
وتجاوز بك حدك عن حد الثبوت قلت انت
فانت في الاول متمكن وفي الثاني متلون ومن
هنا اشكل على الافهام حل رمز هذا الكلام

الباب الاول في اركان الدين

اعلم ان كلمتي الشهادة على وجازتها تتضمنان اثبات
ذات الاله سبحانه واثبات صفاته واثبات افعاله
واثبات صدق الرسول صلعم وبناء الايمان على هذه الاركان
الاربعة الركن الاول في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى
ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجوده وقدمه وبقائه
وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه لا يختص بجهة
وانه ليس مستقرا على مكان وانه واحد الركن الثاني
في معرفة صفاته ومداره ايضا على عشرة اصول وهي العلم
بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما صادقا
في اخباره منزها عن محلية للحوادث وانه قديم الصفات
الركن الثالث في معرفة افعاله ومداره على عشرة اصول
ايضا وهي ان افعال العباد مخلوقة لله ومرادة له
وانها مكتسبة لهم وانه متفضل بالخلق وان له
تكليف ما لا يطاق وله ايلام البرئ ولا يجب عليه رعاية

الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة
الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد ثابتة مؤيدة
بالمعجزات الركن الرابع فى السمعيات ومداره
على عشرة اصول ايضا وهى الحشر والنشر وعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط
وخلق الجنة والنار واحكام الامامة

الباب الثانى فى الادب

روى عن النبى صلعم انه قال (ادبنى ربى فاحسن
تاديبى) والادب نوعان ادب الظاهر وادب
الباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار
صوفيا اديبا ومن الزم نفسه آداب السنة
نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف
من متابعة الحبيب صلعم فى اوامره وافعاله
واخلاقه والتادب بآدابه قولا وفعلا وعقدا ونية

والانصاف فيما بين الله تعالى والعبد في ثلاث الاستعانة
والجهد والادب فمن العبد الاستعانة ومن الله
الاعانة ومن العبد الجهد ومن الله التوفيق ومن العبد
الادب ومن الله الكرامة ومن تادب بآداب الصالحين
صلح لبساط الكرامة وبآداب الاولياء لبساط القربة
وبآداب الصديقين لبساط المشاهدة وبآداب الانبيا
لبساط الانس والانبساط ومن حرم الادب
حرم جوامع الخيرات ومن لم ترضه اوامر المشايخ
وتاديباتهم ووصاياهم ونصائحهم ومواعظهم فانه لا يتادب
بكتاب ولا سنة ومن لم يقم بآداب اهل البداية
كيف تستقيم له دعوى مقامات اهل النهاية ومن لم
يعرف الله سبحانه لم يقبل عليه ومن لم يتادب بامره
ونهيه كان عن الادب في عزلة وادمة الخدمة الفناء
عن رؤيتها مع المبالغة فيها برؤية مجريها والعبد
يصل بطاعته الى الجنة وبادبه الى الله تعالى والتوحيد

موجب يوجب الايمان فمن لا ايمان له لا توحيد له
والايمان موجب يوجب الشريعة فمن لا شريعة
له لا ايمان له ولا توحيد وترك الادب موجب
يوجب الطرد فمن اساء الادب على البساط
رد الى الباب ومن اساء الادب على الباب رد
الى سياسة الدواب وانفع الاداب التفقه
فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بما لله عليك
واذا ترك العارف ادبه مع معروفه هلك مع الهالكين
وقيل ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة
اهل الريب وحسن الادب وكف الاذى
واهل الدين اكثر ادابهم فى تهذيب النفوس
وتاديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات
واهل الخصوص اكثر ادابهم فى طهارة القلوب
ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ
الوقت وقلة الخواطر الالتفات الى الخواطر
وحسن الادب فى مواقف الطلب وادمان الحضور

ومن قهر نفسه بالادب ابيح له ان يعبد الله بالاخلاص
وقيل ان الادب هو معرفة اليقين وقيل لقول الحق
سبحانه ملح الزمته القيام مع اسمائى وصفاتى الزمته
الادب ومن اراد الكشف عن حقيقة ذاتى
الزمته العطب فاختر ايهما شئت الادب او العطب
ومن لم يتادب للوقت فوقته مقت واذا خرج للمريد
عن استعمال الادب فانه يرجع الى حيث جاء وقال
بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء الادب
احد فى ظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء الادب احد
فى باطن الا عوقب باطنا والادب استخراج ما فى
القوة والخلق الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية
الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر
على تكوينها وتكون كامنة بتكوينه تم كمون النار
فى الزناد اذ هو فعل الله المحض واستخراجه
بكسب الادمى فهكذا الادب منبع السجايا
الصالحة والمنح الالهية

واما معرفة الصفات فان تعرف ان الله تعالى حى
عالم قدير سميع بصير الى غير ذلك من الصفات
فان قيل ما سر المعرفة يقال سرها وروحها التوحيد
وذلك بان تنزه حياته وعلمه وقدرته وارادته
وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات
الخلائق اذ ليس كمثله شيء فان قيل ما علامة
المعرفة يقال حياة القلب مع الله تعالى اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام اتدرى ما معرفتى
قال لا قال عز وجل حياة القلب فى مشاهدتى
فان قيل ففى اى مقام تصح المعرفة الحقيقية يقال
فى مقام الرؤية والمشاهدة بسر القلب وانما يرى
ليعرف فان المعرفة باطنه الارادة يرفع الله تعالى
بعض الحجب فيريهم نور ذاته تعالى وصفاته عز
وجل من وراء الحجاب ليعرفوه تعالى ولا يرفع الحجاب
بالكلية لكيلا يحترقوا قال بعضهم بلسان الحال
ولو انى ظهرت بلا حجاب لسيمت الخلائق اجمعينا

ولكن الحجاب لطيف معنى ✻ به تحيا قلوب العاشقينا

واعلم ان تجلى العظمة يوجب الخوف والهيبة وتجلى
الحسن والجمال يوجب العشق وتجلى الصفات يوجب
المحبة وتجلى الذات يوجب التوحيد قال العصبه العارفيه
والله ما نال رجل الدنيا الا عمى الله قلبه وبطل عليه عمله
ان الله تعالى خلق الدنيا مظلمة وجعل المعرفة فيها
ضياءً فاذا جاء السحاب ذهب نور الشمس كذلك
يجيء حب الدنيا فيذهب بنور المعرفة من القلب
وقيل حقيقة المعرفة نور تقذف في قلب المؤمن
وليس في الخزانة شيء اعز من المعرفة وقال
بعضهم ان شمس قلب العارف اضوأ واشرق
من شمس النهار لان شمس النهار قد تكسف وشمس
القلوب لا كسوف لها وشمس النهار تغرب بالليل
دون شمس القلوب وانشد في ذلك قول الشاعر

ان شمس النهار تغرب ليلاً ✻ وشمس القلوب ليست تغيب
من احب الحبيب طار اليه ✻ اشتياقاً الى لقاء الحبيب

قال ذو النون حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الاسرار
بمواصلة لطائف الانوار وانشدوا فيه

للعارفين قلوب يعرفون بها   نور الاله بسر السر في الحجب
صم عن الخلق عمي عن مناظرهم   بكم عن النطق في دعواه بالكذب

وسئل بعضهم عن حقيقة المعرفة فقال هي مشاهدة الحق
بلا واسطة ولا كيف ولا شبهة كما سئل امير المومنين
علي بن ابي طالب فقيل له يا امير المومنين العبد من ترى
او من لا ترى فقال لا اعبد من لا ارى لا رؤية
العيان ولكن رؤية القلب والجنان وقيل لجعفر
الصادق هل رايت الله عز وجل قال لم اكن لاعبد
ربا لم اره قيل فكيف رايته وهو الذي لا تدركه
الابصار قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان
ولكن تراه القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس
ولا يقاس بالناس وسئل بعض العارفين عن حقيقة
المعرفة فقال تخلية السر عن كل ارادة وترك ما عليه العادة
وسكون القلب الى الله تعالى بلا علاقة وترك الالتفات

عنه الى ما سواه ولا يمكن معرفة كنه ذاته
ولا معرفة كنه صفاته عز وجل ولا يعرف ما
هو الا من هو تبارك وتعالى والحمد لله وحده

(فصل فى البصيرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة)

اما البصيرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة فهى
الفاظ مترادفة على معنى واحد فى الاصل وانما
تحصل التفرقة فى كمال الوضوح لا فى اصله فمنزلة
البصيرة من العقل منزلة نور العين من العين
والمعرفة من البصيرة منزلة قرص الشمس لنور العين
فتدرك بذلك الجليات والخفيات واما الحياة
فهى نفس التوحيد قال الله تعالى (او من كان
ميتا فاحييناه) الآية واما اليقين فاعلم
ان الاعتقاد والعلم اذا استوليا على القلب
ولم يكن لهما معارض اثرا فى القلب المعرفة فسميت
هذه المعرفة يقينا لان حقيقة اليقين صفاء
العلم المكتسب حتى يصير كالعلم الضرورى ويصير

القلب مشاهدا لجميع ما اخبر الشرع عنه من امري الدنيا
والآخرة يقال القن الماء اذا صفا من كدورته
واما الالهام فهو حصول هذه المعرفة بغير سبب
ولا اكتساب بل بالالهام من المولى عز اسمه بعد
طهارة القلب عن استحسان ما في الكونين واما
الفراسة فهي توسم لعلامة من الله عز وجل بينه
وبين العبد ليستدل بها على احكام باطنه وذلك
لا يكون الا في درجة التقريب وهي اي الفراسة دون الالهام
لانه الالهام لا يفتقر الى علامة والفراسة تفتقر اليها
وهو عام وخاص والله سبحانه وتعالى ادرى واعلم

(الباب السادس في بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل)

اعلم ان هذه الاسامي الاربعة مشتركة فيه مسميات
مختلفة ونحن نشرح من معانيها ما يتعلق بغرضنا
اللفظ الاول القلب وهو يطلق على معنيين احدهما اللحم
الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر
وفي باطنه تجويف مشتمل على دم اسود وهو منبع الروح الحيواني

ومعدنه والمعنى الثاني لطيفة ربانية روحانية
لها بهذا القلب الجسماني تعلق لا كتعلق الاعراض
بالاجسام والاوصاف بالموصوفات وتلك اللطيفة هي
حقيقة المدرك العالم المخاطب المطالب المثاب
المعاقب (اللفظ الثاني الروح) وهو ايضا يتعلق
منه بغرضنا معنيان احدهما جسم لطيف بخاري
حامله دم اسود منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر
بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن
وفيضانه انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم
منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج
في زوايا البيت فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطة
والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن
مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطبا
اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار
لطيف انضجته حرارة القلب المعنى الثاني هو اللطيفة
المدركة العالمة من الانسان الذي هو احد معنيي القلب

وهو الذي اراده الله تعالى في قوله (ويسألونك عن الروح
قل الروح من امر ربي) وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر
العقول والافهام عن درك فهم حقيقته (اللفظ
الثالث النفس) وهو ايضا مشترك بين معنيين
احدهما المعنى الجامع لقوة الشهوة والغضب في الانسان
وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون
بالنفس الاصل الجامع للصفات الذميمة من الانسان
كما في قولهم لابد من مجاهدة النفس وكسر شرتها واليه
الاشارة بقوله صلعم (اعدى عدوك نفسك التي بين
جنبيك) المعنى الثاني اللطيفة التي ذكرناها وهي
حقيقة الانسان ونفسه وذاته لكنها توصف باوصاف
مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر
وزايلها الاضطراب الذي يثير عن معارضة الشهوات سميت
النفس المطمئنة قال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك) والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها
الى ربها فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان

واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس
الشهوانية سميت النفس اللوامة فاذا تركت الاعتراض
واذعنت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت
النفس الامارة بالسوء (اللفظ الرابع العقل)
والمتعلق لغرضنا منه معنيان احدهما العلم بحقائق
الأمور فيكون عبارة عن صفة خزانتها القلب الثاني
الامر المدرك للعلوم فيكون هو القلب فالمراد به
المعنى الذى يفقه من الانسان ويدرك حقيقة
الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الجسمانى الذى فى الصدر
لان بينه وبين تلك اللطيفة المدركة العالمة التى
هى حقيقة الانسان علاقة خصوصية لانه تعلقها
بسائر البدن انما هو بواسطته فهو مملكتها ومطيتها
والمجرى الاول لتدبيرها وتصرفها فالقلب الجسمانى
والصدر بالنسبة الى الانسان كالعرش والكرسى
بالنسبة الى الله عز وجل ولله المثل الاعلى
(فصل فى بيان جنود القلب)

اعلم ان الله تعالى في القلب والارواح وغيرها من العوالم
جنود مجندة لا يعلم حقيقتها وتفصيل عددها الا
الله تعالى ونحن نشير الى بعض جنود القلب وهو
الذي يتعلق بغرضنا فاعلم ان له جندين جند يرى
بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر فالقلب في حكم
الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فاما جنوده
المشاهدة بالبصر فهي مثل اليد والرجل والاذن والعين
واللسان واما المشهودة بالبصيرة فهي مثل القوى
المدركة الحاسة التي تتعلق بهذه الاعضاء وبالجملة
فجميع جنود القلب ثلاثة اصناف صنف باعث مستحث
وهو الشهوة الباعثة على جلب النافع والغضب الباعث
على دفع الضار وقد يسمى المجموع بالارادة – والصنف
الثاني هو المحرك بمقتضى هاتين الباعثتين وهو قوى
مبثوثة في العضلات والاعصاب – وصنف مدرك
وهو الحواس الظاهرة والباطنة المبثوثة في العين والاذن
والانف واللسان والبدن وتجاويف الدماغ وهي اللمس والشم

والذوق والسمع والبصر والحس المشترك والخيال المتصرف
المسماة بالمخيلة تارة والمفكرة اخرى والواهمة والحافظة
واما العاقلة والعقل الفياض فهي حقيقة الانسان
وذاته وانانيته الحقانية الحقيقية وقد يقال ان المدرك
للكلي من حيث هو كلي فقط جاز عده في جملة الجنود لان
الملك عنده الامران جميعا الجزئي والكلي وان كان في
ذلك بحث ونظر هذا وانما افتقر القلب الى هذه
الجنود لافتقاره الى المركب والزاد في سفره الى الله
تعالى وقطع المنازل وطي المراحل الى اللقاء الذي من
اجله خلق وانما مركبه البدن وزاده العلم
والعمل وليس يمكنه ان يصل العبد الى الله تعالى
ما لم يسكن البدن ويجاوز الدنيا مدة ليتزود منها
الى المنزل الاقصى فافتقر الى تعهد بدنه بان يجلب
اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه
ما يؤذيه ويمكنه من اسباب الهلاك فافتقر الى جندين
لاجل جلب النافع ودفع الضار وهما الارادة والقدرة

احدهما القوة الباعثة والاخرى المتحركة الساعية
وافتقر الى مدرك مباشر يدرك النافع من الضار
والصالح من المؤذى وهو الحواس الباطنة والظاهرة
وتفصيل الكلام على ذلك طويل الذيول وتنفد المجلدات
الضخمة دون نفاده فسبحان العليم الحكيم

فصل في الفرق بين الروح الحيواني والروح الناطق

اعلم ان القسمة العقلية اوجبت وجود اقسام ثلاثة
في الوجود وهي الجسم والعرض والجوهر المجرد الذي ليس
بجسم ولا جسماني وللانسان صنفان من الارواح
احدهما الروح الحيواني اعني المشترك بينه وبين العجماوات
وهو جسم لطيف بخاري كأنه سراج مشتعل والحياة اشتعاله
والحس والحركة نوره والشهوة حرارته والغضب دخانه
والقوة الطالبة للغذاء الساكنة في الكبد خادمه
وحارسه ووكيله وهذا الروح الحيوي الموجب
للحياة المادية جسم وآثاره في البدن اعراض بدنية
ولا سبيل له الى العلم ومعرفة الصانع وانما هو خادم اسير

يموت بموت البدن ولو نقص ينطفى بزيادة البرودة
وانطفاؤه سبب موت البدن وليس الخطاب الباري
جلت عظمته وتكليف الشارع عليه السلام لهذا الروح
لأنه البهائم غير مكلفة والانسان انما كلف لمعنى فيه
زائد على مجرد حيوانية وجسمانية وذلك المعنى هو
النفس الناطقة واللطيفة الربانية فهذا هو الروح
الثانى الذى هو من عالم آخر لا من هذا العالم وذلك
العالم الاخروى الآخر يدعى باسماء وعناوين كثيرة
منها العالم الروحانى والملكوتى والغيبى والعالم
الثانى وعالم الآخرة الى غير ذلك من الاسماء فهذا
الروح من امر الله ليس بجسم ولا جسمانى بل هو
جوهر ثابت دائم لا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا
يموت بل اذا فارق البدن عاد الى الله تعالى كما
ورد به الشرع وبصلاح حال هذا الجوهر يصلح حال
الانسان وبفساده فساده وصلاحه بالعلم والتقوى
وهذه التقوى عبارة عن التزكية المسماة عند ابناء

العلوم بالتطهير والتحلية وجميع القوى البدنية
من جنود هذا الجوهر السني الشريف وهو في البدن
كالغريب وليس البدن حامله بل هو حامل البدن والبدن
آلته ودابته في الرحلة الى معدنه وموطنه اللاهوتي
(فصل في المراد من قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين)

قال ابو حامد قدس الله سره العزيز اما التسوية فهي
عبارة عن فعل في المحل القابل وهو الطين في حق آدم
والنطفة في حق اولاده بالتصفية وتعديل المزاج والتردد
في اطوار الخلقة الى الغاية حتى ينتهي في الصفاء وتناسب
الاجزاء الى الكمل نهاية فيستعد لقبول الروح وامساكه
استعداد الفتيلة بعد تشربها للدهن العفص لقبول النار
وامساكها واما النفخ فهو عبارة عن اشتعال
نور الروح في المحل القابل فالنفخ سبب الاشتعال
وصورة النفخ في حق الله تعالى محال ولكنه لأثر غير
محال فعبر عنه نتيجة النفخ بالنفخ وهو الاشتعال

فى فتيلة النطفة وللنفخ صورة ونتيجة
اما الصورة فهى اخراج من جوف النافخ
الى جوف المنفوخ فيه واما السبب الذى
اشتعل به نور الروح فهو صفة فى الفاعل
وصفة فى المحل القابل اما صفة الفاعل
فهى الجود الذى هو ينبوع الوجود وهو فياض
بذاته على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر
عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان
نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند
ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو الملونات
دون الهواء الذى لا لون له واما التى فى
القابل فالاستوا والاعتدال الحاصل
من التسوية ومثال صفة القابل صفة
المرآة فان المرآة قبل صقالتها لا تقبل
الصورة وان كانت محاذية لها فاذا
صقلت حدثت فيها صورة من ذى الصورة

المحاذی لها فكذلك اذا حصل الاستوا
فی النطفة حدث فیها الروح من خالق
الروح من غیر تغیر فی الخالق تعالی
یحدث فیحدث الروح بل انما حدث الروح
الآن لا قبله لتغیر المحل بحصول الاستوا
الآن لا قبله واما فیضان الجود فالمراد
به ان الجود الالهی سبب لحدوث انوار
الوجود فی كل ماهیة قابلة للجود فعبر
عنه بالفیض لا كما یفهم من فیض الماء
عن الاناء علی الید فان ذلك عبارة عن
انفصال جزء مما فی الاناء واتصاله بالید
والله سبحانه وتعالی یتعالی عن مثل هذا
واما كشف ماهیة الروح وحقیقتها فهو
من السر الذی لم یؤذن لرسول الله صلعم
فی كشفه لمن لیس من اهله فان كنت من
اهله فاسمع واعلم ان الروح لیس بجسم

يحل البدن حلول الماء فى الاناء ولا هو
عوض يحل القلب او الدماغ حلول السواد فى
الاسود بل هو جوهر لا يتجزأ باتفاق اهل
البصائر لانه لو انقسم لجاز ان يحل فى جزء
منه العلم لشئ وفى جزء آخر الجهل به فيكون
المرء عالما جاهلا لشئ واحد فى حالة واحدة
وهذا بديهى الاحالة فالروح الناطق واحد
لا يقبل التجزئة والانقسام اصلا فان
قيل لم منع رسول الله صلعم عن افشاء سر
الروح وبيان حقيقته قلنا لانه متصف
بصفات لا تحتملها الافهام اذ الناس قسمان
خواص وعوام اما من غلب على طبعه العامية
فانه لا يصدق بما هو وصف الروح ان يكون
وصف الله تعالى فكيف يصدق به فى وصف
الروح الحيوانى ولذلك انكرت الكرامية
والحنابلة وغيرهم ممن غلب عليهم العامية تنزيه

ولما هيأ الله سبحانه بواطن الصوفية متكوين السجايا
الكاملة فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة
الى استخراج ما ركز فى النفوس بخلق الله من القوة
الى الفعلية فصاروا مؤدبين مهذبين

فصل فى آداب اهل القرب من الحضرة الالهية

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
صلى الله عليه وسلم مجمع الآداب ظاهرا وباطنا
واخبر الله سبحانه عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله
تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) وهذه غامضة
من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبر الله سبحانه عن اعتدال قلبه
المقدس فى الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله
وتوجه الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار
العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها
ولم يلحقه الاسف على الفائت فى اعراضه قال الله
تعالى (لكيلا تاسوا على ما فاتكم) فهذا الخطاب

للعموم (وما زاغ البصر) حالة فى طرف الاعراض
وفى طرف الاقبال لتلقى ماورد عليه فى مقام قاب
قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله حياءً منه
واجلالا وطوى نفسه فى مطاوى انكساره وافتقاره
لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند
الاستغنا وصف النفس قال الله تعالى (ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى) والنفس عند المواهب
الواردة على الروح والقلب لتسترق السمع ومتى
نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان
يظهر منه فرط البسط والافراط فى البسط
ليسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها
عن المواهب وموسى عليه السلام صح له فى الحضرة
احد الطرفين ما زاغ بصره وما التفت الى ما
فاته متاسفا لحسن ادبه ولكن امتلأ من المنح
واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط
والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطغت

عليها ما وصل اليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد
من فرط البسط وقال (ارنى انظر اليك) فمنع
ولم يطق صبرا وثباتا فى فضاء المزيد وظهر الفرق
بين الحبيب والكليم عليهما الصلاة والسلام
وقال سهل بن عبد الله التسترى لم يرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى شاهد نفسه ولا
الى مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه
ليشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى اوجبت
الثبوت فى هذا المحل

الباب الثالث فى معنى السلوك والتصوف

اعلم ان السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال
والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن
والعبد فى جميع ذلك مشغول عن ربه الا انه
مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول
والذى يفسد على السالك سلوكه شيئان
اتباع الرخص بالتأولات والاقتداء باهل

الغلط من متبعي الشهوات ومن ضيع حكم وقته
فهو جاهل ومن قصر فيه فهو غافل ومن اهمله
فهو عاجز ولا تصح ارادة المريد حتى يكون
الله ورسوله وسواس قلبه ويكون نهاره صائما
وليله قائما ولسانه صامتا لان كثرة الطعام
والكلام والمنام تقسي القلب ويكون ظهره
راكعا وجبهته ساجدة وعينه غامضة دامعة
وقلبه حزينا ولسانه ذاكرا وبالجملة قد شغل
كل عضو فيه ومعنى فيه بوظيفة ندبه الله ورسوله
اليها وترك ما كره الله ورسوله له وان يكون
للورع معانقا ولاهوائه تاركا مطلقا وراسيا
جميع ما وفقه الله له من فضل الله عليه (ويكون ذلك
كله) ويجتهد ان يكون ذلك كله احتسابا لا
استثوابا وعبادة لا عادة لان من لاحظ
المعمول له اشتغل به عن رؤية الاعمال وان
تكون نفسه تاركة للشهوات فصحة الارادة

ترك الاختيار والسكون الى مجاري الاقدار كما
قيل اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
فافن عن الخلق بحكم الله وعن هواك بامر الله وعن
ارادتك بفعل الله فحينئذ تصلح ان تكون وعاء
لعلم الله فعلامة فنائك عن الخلق انقطاعك
عنهم وعن التردد اليهم والاياس عما في ايديهم
وعلامة فنائك عنك وعن هواك ترك التكسب
والتعلق بالسبب في اجتلاب النفع ودفع الضر
فلا تتحرك فيك بك ولا تعتمد عليك بك ولا
تذب عنك ولا تنصر نفسك لكن تكل
ذلك الى من تولاه اولا ليتولاه آخرا كما
كان ذلك موكلا اليه في حال كونك مغيبا في الرحم
وكونك رضيعا في مهدك وعلامة فنائك عن
ارادتك بفعل الحق ان لا تريد مرادا قط لانك
لا تريد مع ارادة الله سواها بل يجري فعله فيك
فتكون انت ارادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن

الجنان مشروح الصدر منور الوجه عامر
الباطن تقلبك القدرة ويدعوك لسان الأزل
ويعلمك رب الملك ويكسوك من نور الحلل
وينزلك منازل من سلف من اولى العلم

فصل

على السالك ان يلزم العزلة ليستظهر بها
على اعدائه وهى نوعان فريضة وفضيلة
فالاولى العزلة عن الشر واهله والثانية
العزلة عن الفضول واهله وقيل السلامة
عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت وواحد
فى العزلة وقيل الحكمة عشرة اجزاء تسعة
منها فى الصمت عما لا يعنى والعاشر فى العزلة
عن الناس كثر من ندم على الكلام وقل من ندم
على السكوت وقيل الخلوة اصل والخلطة
عارض فالزم الاصل ولا تخالط الا بقدر
الحاجة واذا خالطت فالزم الصمت فانه اصل

واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد واين ذاك الواحد
وقيل الخلوة بالقلب فيكون السالك مستغرقا بكليته
في الحق تعم معكوف القلب عليه مشغوفا به متحققا
انه بين يديه قيل اول مبادى السالك ان يكثر
الذكر بقلبه ولسانه بقوة حتى يسرى الذكر في اعضائه
وعروقه وينتقل الذكر الى قلبه فحينئذ يسكت
لسانه ويبقى قلبه ذاكرا يقول الله الله باطنا
مع عدم رؤية لذكره ثم تسكن قلبه ويبقى ملاحظا
لمطلوبه مستغرقا به معكوفا عليه مشغوفا به
والها اليه مشاهدا له ثم يغيب عن نفسه
بمشاهدته ثم يفنى عن كليته بكليته حتى كأنه
في حضرة (قل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)
فحينئذ يتجلى الحق على قلبه فيضطرب عند ذلك
ويندهش ويغلب على لبه السكر وحالة الحضور
والتجلة والتعظيم فلا يبقى فيه متسع لغير مطلوبه
الاعظم كما قيل فلا حاجة لاهل الحضور الى غير شهود عيانه

وقيل فى قوله تعـ (وشاهد ومشهود) ان الشاهد
هو الله والمشهود هو عكس جمال الحضرة الصمدانية
فهذان هما الشاهد والمشهود (فصل)
يا حبيبى اطبق جفنيك وانظر ماذا ترى فان قلت
لا ارى شيئاً حينئذ فهو خطأ منك بل تبصر ولكن
لظلام الوجود وفرط قربه منك لا تجده فان احببت
ان تجده وتبصره قدامك مع انك مطبق جفنيك
فانقص من وجودك شيئا او ابعد من وجودك
شيئاً وطريق تنقيصه والابعاد منه قليلا
المجاهدة ومعنى المجاهدة بذل الجهد فى دفع
الاغيار او قتل الاغيار والاغيار الوجود
والنفس والشيطان وبذل الجهد مضبوط
بطرق الاول تقليل الغذاء بالتدريج فان
مدد الوجود والنفس والشيطان من الغذاء
فاذا قل الغذاء قل سلطانها الثانى ترك الاختيار
وافناؤه فى اختيار شيخ مامون ليختار له ما يصلحه

فانه مثل الطفل والصبي الذي لم يبلغ مبلغ الرجال
او السفيه المبذر وكل هؤلاء لابد لهم من وصي
او ولي او قاض او سلطان يتولى امرهم الثالث
من الطرق طريقة الجنيد قدس الله روحه
وهو ثماني شرائط دوام الوضوء ودوام الصوم
ودوام السكوت ودوام الخلوة ودوام الذكر
وهو قول لا اله الا الله ودوام ربط القلب
بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه بفناء
تصرفه في تصرف الشيخ ودوام نفي الخواطر
ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى في كل ما يرد
منه عليه ضرا كان او نفعا وترك سؤال
دخول الجنة والنجاة من النار والفرق بين الوجود
والنفس والشيطان في مقام المشاهدة ان
الوجود شديد الظلمة في الاول فاذا صفا
قليلا تشكل قدامك بشكل الغيم الاسود
فاذا كان عرش الشيطان كان احمر فاذا صلح وقلت

لهذه الفقرة الاخيرة من ذلك الفصل رموز غامضة في غاية الغموض

الحظوظ منه وبقيت الحقوق صفا وابيض
مثل المزن واما النفس اذا بدت فلونها
لون السماء وهي الزرقة ولها انبعاث
كانبعاث الماء من اصل الينبوع فاذا كانت
عرش الشيطان فكانها عين من ظلمة ونار فيكون
انبعاثها اقل فان الشيطان لاخير فيه
وفيضان النفس على الوجود وتربيته منها
فان صفت وزكت افاضت عليه الخير وتلبت
فان افاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه
الشر والشيطان نار غير صافية ممتزجة
بظلمات الكفر في هيبة عظيمة وقد يتشكل
قدامك كانه زنجي طويل ذو هيبة يسعى كانه
يطلب الدخول فيك فاذا طلبت منه الانفكاك
فقل في قلبك يا غياث المستغيثين اغثنا

فصل في التصوف

حكم الصوفي ان يكون الفقر زينته والصبر

حليته والرضى مطيته والتوكل شانه وسجيته
والله عز وجل حسبه يستعمل جوارحه في
الطاعات وقطع الشهوات والزهد في الدنيا
والتورع عن جميع الحظوظ وان لا يكون له رغبة
في الدنيا البتة فان كان ولا بد فلا تجاوز
رغبته كفايته وان يكون صافي القلب من الدنس
والها بحب ربه فارا الى الله بسره ياوي
اليه كل شيء ولا يانس بشيء سوى معبوده اخذا
بالاولى والاهم والاحوط في دينه مؤثرا
الله على كل شيء التصوف طرح النفس في العبودية
وتعلق القلب بالربوبية وقيل كتمان الفاقات
ومدافعة الآفات وقال سهل بن عبد الله الصوفي
من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر واستوى
عنده الذهب والمدر وقيل التصوف تصفية
القلب عن مرافقة البرية ومفارقة الاخلاق
الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية

ومناولة ومزاولة الصفات الروحانية والتعلق
بالعلوم الحقيقية واتباع الرسول في الشريعة السمحة البهية
وقيل الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لايزال
يصفي الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب
عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام
افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للمكدر
كلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها
ببصيرته الناقدة النافذة وفر منها الى ربه وبدوام
تصفيته تكون جمعيته وبحركة نفسه تكون تفرقته
وكدورته فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على
نفسه قال الله تعالى (كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط) وهذه القوامية لله على النفس هي التحقق
بالتصوف (فصل)

اصول التصوف اكل الحلال والاقتداء برسول الله
في اخلاقه وافعاله واوامره وسنته ومن لم يحفظ
القرآن ويكتب الحديث لايقتدى به في هذا الامر

لأنه علمنا مضبوط بالكتاب والسنة اخذ هذا
المذهب بالزهد والورع لا بالدعاوى التصوف
اوله علم واوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم يكشف
عن المراد والعمل يعين على الطلب والموهبة تبلغ غاية
الأمل واهله على ثلاث طبقات مريد طالب ومتوسط
سائر ومنتهى واصل فالمريد صاحب وقت والمتوسط
صاحب حال والمنتهى صاحب يقين وافضل الاشيا
عندهم الانفاس فمقام المريد عندهم المجاهدات
والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ وما على
النفس فيه تبعة ومقام المتوسط ركوب الاهوال
في طلب المراد ومراعاة الصدق واستعمال الأدب
في المقامات وهو مطالب بآداب المنازل وهو صاحب
تلوين لانه ينتقل من حال الى حال وهو المزيد ومقام
المنتهى الصحو والثبات واجابة الحق من حيث دعاه
قد تجاوز المقامات وهو في محل التمكين لا تغيره
الاهوال ولا تؤثر فيه الاحوال قد استوى في حالى

الشدة والرخاء والمنع والعطاء والجفاء والوفاء
اكله كجوعه ونومه كسهره قد فنيت حظوظه وبقيت
حقوقه ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق كل ذلك
من احوال النبي صلعم المنتهى لو نصب له
في اعلى شاهق من الارض وهبت عليه الرياح الثمانية
ما حركت منه شعرة واحدة وقيل سموا صوفية لانهم
وقفوا في الصف الاول بين يدي الله عز وجل بارتفاع
هممهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم
بين يديه بسرائرهم ﴿فصل في الملامتية﴾

حكم الملامتي انه لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح
هذا هو ان الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص
وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله
والملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالتمسك
بالاخلاص يرون كتم الاحوال ويتلذذون بكتمها
حتى لو ظهرت اعمالهم واحوالهم لاحد استوحشوا من
ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته

فالملامتي عظم موقع الاخلاص وموضعه من قلبه ..
وتمسك به معتمدا به والصوفي غاب في اخلاصه
قال ابو يعقوب السوسي متى شهدوا في اخلاصهم الاخلاص
احتاج اخلاصهم الى اخلاص وقال بعضهم صدق الاخلاص
عدم رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق والملامتي يرى
فيخفي عمله وحاله وقال جعفر الخلدي سألت ابا القاسم
الجنيد ابين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق
اصل وهو الاول والاخلاص فرع وهو تابع قال
وقال بينهما فرق لانه الاخلاص لا يكون الا بعد
الدخول في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة
الاخلاص وخالصة المخالصة فعلى هذا الاخلاص
حال الملامتي ومخالصة الاخلاص حال الصوفي وخالصة
المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد
عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية
قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص
عن لوث الاغيار وهو حال الصوفي والملامتي مقيم

في اوطانه اخلاصه غير متطلع الى حقيقة اخلاصه
ولهذا فرق واضح بين الملامتي والصوفي فالملامتي
وان كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط
الصدق ولكن عليه بقية من رؤية الخلق وما
احسنها من بقية تحقق الاخلاص والصدق و
الصوفي صفا عن هذه البقية في طرفي العمل والترك
للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال
ولاحت له ناصية التوحيد وعاين سر كل
شئ هالك الا وجهه) كما قال بعضهم في بعض
غلباته ليس في الدارين الا الله وقد يكون
اخفاء الملامتي الحال على وجهين احدهما
تحقيق الاخلاص والصدق والآخر وهو الاتم
ستر الحال عن الغير بنوع غيرة فان من خلا
المحبوب يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق
المحبة ان يكره اطلاع الغير على حب المحبوب ولكن
هذا وان علا ففي طريق الصوفي علة ونقص فعلى هذا

يتقدم الملامتى على المتصوف ويتأخر عن الصوفي
وقيل من اصول اهل الملامة ان الذكر على اربعة
اقسام ذكر اللسان وذكر القلب وذكر السر
وذكر الروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر
والقلب واللسان وذلك ذكر المشاهدة واذا
صح ذكر السر سكت القلب واللسان وذلك
ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب سكت اللسان
وذلك ذكر الآلاء واذا غفل القلب عن الذكر
اقبل اللسان عليه وذلك ذكر العادة ولكل
واحد من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة
ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر
اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع
النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك
وتعظيمه وطلب ثواب اوظن انه يصل الى شئ
من المقامات واقل الناس قيمة عندهم من يريد
اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا

الاصل الذى بنوا عليه ان ذكر الروح هو
ذكر الذات وذكر السر هو ذكر الصفات
بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء
هو ذكر اثر الصفات وذكر النفس متعرض
للعلات ومعنى قولهم انه ذكر الروح اطلا
ع السر عليه وجوب التحقق بالفناء عند ذكر
الذات فان ذكر السر هو ذكر الهيبة ووجود
الهيبة يستدعى وجود بقية وهو ينافى
التحقق بالفناء الذى هو مقتضى ذكر الروح
وكذا يقال فى الباقى من تلك الأنواع

وثالثها تنزيهه تعالى عن كونه جوهرا او عرضا
وعن لوازم كل منهما ليبرأ من التشبيه
ورابعها ابداعه تعالى بقدرته واختياره
لكل ما سواه ليبرأ به من القول بالتعليل
وخامسها تدبيره تعالى لجميع مبتدعاته ليبرأ
به عن القول بالطبع او تاثير الكواكب والفلك
وقول لا اله الا الله يدل على الخمسة

فصل

اتفق المسلمون على ان الله تعالى موصوف بكل
كمال بريء من كل نقصان لكنهم اختلفوا
في بعض الاوصاف فاعتقد بعضهم انها
كمال ثابتة له واعتقد آخرون انها نقصان
فنفوها عنه ولذلك امثلة احدها
قول المعتزلة ان الانسان خالق لافعاله
لان الله تعالى لو خلقها ثم نسبها الى العبد
لكان ظالما لان عقابه على ما لم يفعله وتعذيبه

عليه مع انه لم يوجد ظلم والظلم نقصان وكيف
يصح ان يفعل شيئا ثم يلوم غيره عليه ويقول
له كيف تفعلته ولم فعلته والسنيون يقولون انّنا
وجدنا كمال الاله في التفرد ونفي القدرة عيب
ونقصان وليس تعذيب الرب على ما خلقه ظلما
بدليل تعذيب البهائم والمجانين والاطفال لانه
يتصرف في ملكه كيف يشاء لا يسأل عما يفعل
والقول بالتحسين والتقبيح باطل فرأوا انه
الخالق لجميع الافعال وانه يجوز له تعذيب
الممكنات على ما لا يخلقون فافهم

المثال الثاني في اختلاف المجسمة مع المنزهة

قالت المجسمة لو لم يكن جسما لكان معدوما ولا
عيب اقبح من العدم وكذا النفي عن الجهات قول
بعدمه لان من لا جهة له لا يتصور وجوده
وقالت المنزهة لو كان جسما لكان حادثا ولفاته
كمال الازلية ونفي الجهات كلها انما يوجب عدم من

كان محدودا منحصرا فى الجهات فاما ما كان موجودا
قديما لم يزل ولا جهة فلا ينصرف اليه النفى
المثال الثالث ايجاب المعتزلة على الله ان يثيب
الطائعين كيلا يظلمهم والظلم نقصان وقول
الاشعرى ليس ذلك بظلم اذ لا يجب عليه حق لغيره
اذ لو وجب عليه حق لغيره لكان فى قيد والتقييد
بالاغيار نقصان المثال الرابع قول المعتزلة
ان الله تعالى يريد الطاعات وان لم تقع لان ارادتها
كمال ويكره المعاصى وان وقعت لان ارادتها نقصان
وقول الاشعرى لو اراد ما لا يقع لكان ذلك نقصا
فى ارادته لكلالها عن النفوذ فيما تعلقت به ولو كره
المعاصى مع وقوعها لكان ذلك كلالا فى ~~ارادته~~
كراهيته وهو نقصان المثال الخامس ايجاب
المعتزلى على الله تعالى رعاية الاصلح لعباده
لما فى ضد ذلك من النقصان وقول الاشعرى
لا يلزمه ذلك لانه لا الزام نقصانه وكمال الا له ان لا يكون

في قيد المتاطهين وبالله التوفيق

فصل في تعدد الفرق والانقسامات

اعلم ان اصحاب الاهواء المختلفة ست فرق
لان الاهواء ستة وهي التشبيه والتعطيل
والجبر والقدر والرفض والنصب وكل اثنين
من هذه الستة ضدان متقابلان فان
التشبيه والتعطيل ضدان وكذا الجبر والقدر
- والرفض والنصب (اي الاقامة) وكل فرقة
من اولئكم الفرق اصحاب تلك الاهواء تفترق
على نفسها الى اثنى عشر فرقة وكلهم وقعوا
في الخطا والانحراف عن الصراط السوي ما عدا
الفرقة الوسط وتلك الفرقة الوسطى هم
المتحيزون الى السنة المحمدية المندمجون في
عقد الاتحاد فاما المشبهة فانهم غلوا في اثبات
الصفات حتى شبهوا وجوزوا الانتقال والحلول
والاستقرار والجلوس واما المعطلة فانهم غلوا

فى نفى الصفات والتشبيه حتى وقعوا فى التعطيل واما
اهل السنة فانهم سلكوا الجادة الوسطى فاثبتوا صفات
الله كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل فعلم بذلك
ان الخطأ والانحراف فى اثبات احدهما دون الآخر
واما الجبرية فغلوا فى جانب النفى حتى نفوا المشية
والكسب معا عن العبد وقالوا بانه مجبور كالريشة
المعلقة فى الهواء والقدرية غلوا فى جانب الايجاب فنسبوا المشية
والكسب جميعا الى العبد واثبتوا الخالقية والمشية
له واما السنيون فنسبوا المشية الى الله
والكسب الى العبد واعطوا كل ذى حق حقه واضافوا
كل شئ الى اهله واما الرافضة فقد غلوا فى ادعاء
محبة اهل البيت حتى وقعوا فى سب الصحب وبغضهم
واما الناصبة فقد غلوا فى التعصب للصحب حتى وقعوا
فى عداوة اهل البيت اما السنية فانهم سلكوا
المحجة البيضاء والمهيع الوسط فاحبوا العترة
والصحابة جميعا وعصمهم الله السلفتهم فى الوقيعة فى البرية

فصل

اعلم ان من نسب المشية والكسب الى نفسه فهو قدري

ومن نفاهما عنه نفسه فهو جبري ومن نسب المشية

الى الله والكسب الى نفسه فهو سني صوفي رشيد فقدرة

العبد وحركته خلق للرب وهما وصف العبد وكسبه

والقدر اسم لما صدر مقدرا عنه فعل القادر والقضا

هو الخلق والفرق بينهما بالعموم والخصوص فتدبير

الاوليات قدر وسوق تلك الاقدار بمقاديرها

وهيئاتها الى مقتضياتها هو القضاء فالقدر

اذن هو تقدير الامر ابتدا والقضا فصله وقطعه

فصل في معاني القضا

يطلق القضا تارة ويراد به الامر المبرم كما في قوله

اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وتارة يراد به

الاعلام بوجوب الحكم الواجب لله كما في قوله وقضى

ربك ان لاتعبدوا الا اياه انتهى قول الكاتب ومن

العرفاء من قال القضا في الايه هو بمعنى الابرام وكذا

في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والتوجيه يعرف

من تفطن وتمعن فليتأمل)

فصل فی القضاء المعلق

اعلم ان الله تعالی قضی فیما قضاه ازلا ان بعض الامور یکون
منوطا بالعبد موقوفا علیه فی افعاله واقواله وما قضاه
فقد امضاه فلا یجوز تغییره ولا یقال ان الله یغیر ما قضاه
اذ لم یکن عبثا ولا تبعا للشهوات تعالی عن ذلک وانما
قضی بمقتضی الحکمة وما صدر عن الحکمة فلا مغیر له
فمن ذلک الحرث والنسل والتقریب والاجابة فقد علق
الحرث علی العمل والافلاح والنسل علی الوقاع والاخریة
علی الدعاء والعبادة الخالصة والاستغفار واعلم انه
الله عز وجل اثبت فعل العبد فی مواضع من کتابه العزیز
قال تعم جزاءً بما کانوا یعملون) وقال ایضا فی موطن
آخر (اقتلوهم حیث وجدتموهم) ونفاه فی مواضع
اخر قال تعم (فلم تقتلوهم ولکن الله قتلهم) وقال
فی محل آخر (وما رمیت اذ رمیت ولکن الله رمی) والحکمة
فیه ان الله تعالی خالق الافعال ومقدر لها والعبد
مکتسبها ومقتبسها فالعبد مکتسب للعبادة والله تعالی

يجازيه عليها والله خالق معبود والمكلف عابد مربوب
واعلم ان الافعال قسمان احدهما ما يقع من العبد ابتداء
وهو الكسب المنسوب اليه ولهذا انزلت الكتب وارسلت
الرسل وثبتت الحاجة الى العقول لتقوم بها الحجة وتتضح
بها المحجة الثانى ما يقع على العبد جزاءً وهو ما بيد الله
عز وجل وبيد العبد وكلاهما لا يكون الا بما كسبت يد
العبد لقوله تعالى (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير) وما انا سب هذه الاية نحن فهم
هذه الجملة امكنه ان يفقه المراد من كلام الله تعالى
فيما هو المضاف الى العباد مثال ذلك قطع الجلاد يد
السارق يصح ان يقال القاطع هو الجلاد لانه كاسب
ويصح ان يقال ان الله تعم هو القاطع لانه المجازى للمقطوع
على ما ابدأ به من الفعل ويصح ان يقال ان السارق هو
القاطع ليده لانه هو البادى بما جنى فلم يقع عليه الا
بعض ما كسبت يداه فيكون الفعل الواحد من الرب تعالى
جزاءً ومن المقطوع ابتداءً ومن القاطع اكتسابا بلا تناقض

ولا تناف وادلته واضحة في الكتاب ومن فهم هذه الجملة
حق فهمها لم يخف الا من نفسه ولم يرج الا رحمة ربه قال
ابنه عبد الله كلنا في ذات الله حمقى يعني انا اذا نظرنا الى
قضائه تعالى نتوهم ان العبد معذور فيما يفعل وان نظرنا
الى الأمر والنهي والى اختيار العبد ربما نظن ان العبد مستبد
بما يفعل ولكن الحق فيه ان العبد فقير الى الرب في كل الهواجس
وافعاله واقواله بل هو متقلب في مشيئته وانه غير مجبور ولا
مسخر كالحيوانات والجمادات ولكنه مشمول في ضمنه اسباب
السعادة بالتوفيق او مضروب بالطرد والخذلان في ضمنه
اسباب الشقاوة والحرمان ؟ (فصل في حل مسألة القدر والجبر)
لو قيل ان كان للقدرة الحادثة اثر في المقدور فهو شرك
وان لم يكن لها اثر فهو جبر فما هو الحق . يقال انما يكون شركا
اذا كان لها في التخليق اثر وانما اثرها في الكسب فقط
والله تعالى ليس بكاسب حتى يكون تأثير العبد في الكسب
شركا ولو لم يكن لها اثر ما في المقدور لزم ان يستوي وجودها
وعدمها وهو محال واعلم ان من ظن ان الله تعالى انزل الكتب

وان يرسل الرسل وامر ونهى ووعد وتوعد لغير قادر
مختار فهو مختل المزاج محتاج الى علاج ولسبب هجوم
الناس على الاستدلال بالقرآن قبل فهمه وقعوا في الجبر
والقدر ولم يفرقوا بين قدرة الخالق القديمة وقدرة المخلوق
الحادثة والفرق بينهما ان القدرة القديمة مستقلة بالخلق
ولا مدخل لها في الكسب وان القدرة الحادثة مستقلة بالكسب
ولا مدخل لها في الخلق والظلم انما ينسب الى الحادثة
واما القديمة فبرأة منه قال تعالى ان الله لا يظلم
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

فصل في سر المعرفة والرؤية

واما المعرفة فهي نفس القرب وهو ما اخذ القلب واثر
فيه اثرا يؤثر في الجوارح فالعلم كرؤية النار مثلا والمعرفة
والمعرفة كالاصطلاء بها والمعرفة في اللغة هي العلم
الذي لا يقبل الشك اذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته
فلئن قيل ما معرفة الذات وما معرفة الصفات قيل معرفة
الذات ان تعلم ان الله تعالى واحد فرد عظيم قائم بنفسه لا يشبهه شيء

الله تعالى عن الجسمية وعوارضها اذ لايعقلون
موجودا الا متجسما مشارا اليه ومن ترقى
عن العامية قليلا نفى الجسمية عن الآله لكنه
لم يطق نفى عوارضها فاثبت الجهة وترقى عن
هذه العامية الاشعرية والمعتزلة فنزهوا الآله
تعالى عن الجسمية والجهة فان قيل لم لايجوز
كشف هذا السر مع هؤلاء يقال لانهم احالوا
ان تكون هذه الصفة لغير الله فاذا ذكرت هذا
معهم كفروك ونسبوك الى التشبيه لانك
تصف نفسك عندهم بما هو صفة الله تعالى
على الخصوص ولكن هذا منهم جهل باخص اوصاف
الآله تعالى فان قولنا فى حق الانسان انه
سميع بصير متكلم قادر مريد وفى حق الله
تعالى كذلك ليس فيه تشبيه لان هذه
الصفات ليست اخص اوصاف الله تعالى
وكذلك البراءة عن المكان والجهة وانما

وانما اختص وصفه تعالى انه قيوم اى قائم بذاته
وكل ما سواه قائم به وانه موجود بذاته لا بغيره
وليس للاشياء من انفسها الا العدم وانما لها
الوجود من غيرها على سبيل العارية فالوجود لله
تعالى ذاتى ليس بمستعار وما سواه فوجوده منه
تعالى لا من نفسه وهذه القيومية هى لله تعالى
ليس الا فان قيل ما معنى نسبة الروح الى الله تعالى
فى قوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) قلنا ان الروح
منزهة عن الجهة والمكان وفى قوتها العلم بجميع
المعلومات والاطلاع عليها فهذه مضاهاة
ومناسبة ليست لغيره من الجسمانيات لذلك
اختصت بالاضافة الى الله تعالى فان قيل
ما معنى قوله (قل الروح من امر ربى) وما معنى عالم
الخلق وعالم الامر فيقال ان كل ما وقعت عليه
مساحة وتقدير فهو عالم الخلق والخلق هنا
بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد والاحداث

يقال خلق الشئ اى قدره وكل ما لا كمية له ولا
تقدير يقال انه امر ربانى وذلك للمضاهاة التى
ذكرناها فكل ما هو من هذا الجنس من ارواح
البشر وارواح الملائكة يقال انه من عالم
الأمر وعالم الامر عبارة عن الموجودات
الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان
والتحيز والدخول تحت المساحة والتقدير لانتفاء
الكمية عنه فان قيل هذا يوهم ان الروح قديم
ليس بمخلوق يقال قد توهم هذا قوم ضالون لكن
من قال انه ليس بمخلوق بمعنى انه غير متقدر بكمية
لانه لا يتجزأ ولا يتحيز فهو مصيب الا انه
مخلوق بمعنى انه حادث وليس بقديم لان
حدوث الروح البشرية متوقف على استعداد النطفة
كما تحدث الصورة فى المرآة بحدوث الصقالة
وان كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة
فان قيل ما معنى قول النبى ان الله خلق آدم على صورته

وروى على صورة الرحمن يقال ان الصورة
اسم مشترك قد يطلق على ترتيب المعانى التى
ليست محسوسة فللمعانى تركيب و ترتيب
وتناسب يسمى ذلك صورة يقال صورة المسألة
كذا وصورة الواقعة كذا وصورة العلوم
الجسمانية كذا والعقلية كذا فالمراد بالصورة المذكورة
هى الصورة المعقولة المعنوية والاشارة الى
المضاهاة التى ذكرناها ويرجع ذلك الى المضاهاة
فى الذات والصفات والافعال وحقيقة ذات
الروح انه جوهر قائم بنفسه ليس بعرض ولاجسم
ولاجوهر متحيز ولايحل المكان والجهة ولاهو
متصل بالبدن ولا بالعالم ولامنفصل عنه ولا
داخل فيه ولاهو خارج وهذا كله من صفة
ذات الله سبحانه واما الصفات فقد خلق حيا
عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما والله تعالى كذلك
واما الافعال فمبدأ فعل الآدمى ارادة تظهر أثرها

اولا فى القلب فينتشر منه أثر الى الاعضاء
بواسطة الروح الحيوانى الذى هو بخار لطيف فى تجويفه
ويتصاعد الى الدماغ ثم يسرى منه أثر الى الاعضا
حتى تصل الآثار الى الاصابع مثلا فتحرك ويحرك
بالاصابع القلم وبالقلم المداد فيحدث منه صورة
ما يريد كتابته على القرطاس فى خزانة التخيل
فانه ما لم يتصور صورة فى خياله صورة المكتوب
اولا لا يمكن احداثه على البياض ثانيا ومن استقرأ
افعال الله تعالى وكيفية احداث الحيوان والنبات
على الارض بواسطة تحريك الكواكب والسموات
بواسطة الملائكة علم ان تصرف الآدمى فى عالمه
يشبه تصرف الخالق سبحانه فى العالم الاكبر
فحينئذ يعرف معنى الحديث فان قيل اذا كانت
الارواح حادثة مع الاجساد فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الارواح قبل الاجساد
بالفى عام وقوله انا اول الانبياء خلقا واخرهم بعثا

وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين قلنا
ان شيئا من ذلك لا يدل على قدم الروح ولكن
الحديث الاول ربما دل على تقدم وجودها على
وجود الجسد وامر الظاهر هين فان تأوّله
ممكن والبرهان القاطع لا يدرأ بالظاهر
بل يسلط على تاويل الظاهر كما في ظواهر التشبيه
الواردة في حق الله تعالى فاما قوله خلق الله
الارواح الح فقد اراد بالارواح ارواح الملائكة
وبالاجساد اجساد العالم من العرش والكرسي
والسموات والكواكب والهواء والماء والارض
واما قوله انا اول الانبياء خلقا فالخلق هنا
بمعنى التقدير فانه صر قبل ان تلده امه لم
يكن موجودا ولكن الغايات والكمالات سابقة
في التقدير لاحقة في الوجود فان الله تعالى
يقدرا ولا اى يرسم في اللوح المحفوظ الامور
الالهية على وفق علمه فاذا فهمت معنى

الوجود فهمت معنى كونه صم سابق على وجود
ادم اعنى الوجود الاول التقديرى دون الوجود
الحسى العينى والى د نتهى الكلام فى هذا الباب

(الباب السابع فى بيان معنى المحبة وفى سائر المواجيد)

اعلم ان المحبة ميراث التوحيد والمعرفة وكل مقام
او حال قبلها فلها يراد ومنها يُستفاد اما المعرفة
الخاصة بها فكل ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته
من سلب نقص واثبات كمال وهى واجبة بالكتاب
والسنة والاجماع وانما وقع الخلاف فى حقيقتها
ومعناها وليس للمحبة معنى الا الميل الى اللذيذ
الموافق واعلم ان معرفة الله تعالى بنفسها ذكر
الله تعالى لانها حضور معه وشهود له ومن
علامته فى بداية اللوائح والطوالع واللوامع والبروق
وهذه الفاظ متقاربة المعانى والفرق بين البرق
والوجد أنّ البرق إذنٌ فى دخول طريق التوحيد والوجد
يصحبك فيها فاذا دام صار ذوقا واما الذوق فهو

استجلاء وشرب لما شاهدت من ضياء البرق واما
اللحظ فهو اسم يعبر به عن رؤية الحق تعم بالقلب كما
قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
واما الوقت فهو اسم ظرف للكائن فيه من الاحوال
فوقت المريد ما هو فيه واما الصفا فهو اسم للبراءة
من الكدر واما النَفَس فهو تنفس العبد لعجزه
عن حمل الاحوال الواردة عليه اما صعداء واما
تلفظا بكلام او اشارة ما هو فيه فاذا قوى النفس
أدّى الى الغرق واما الغَرَق فهو عدم القدرة
على النَفَس لكظمه فهو غير متنفس ولا غائب
فاذا قوى عليه دخل فى الغيبة واما الغيبة فهو
اسم للذهول عن المهمات بما هو اهم واما السكر
فهو اسم يُشار به الى سقوط التمالك فى الطرب
فاذا لحقته العناية اصحته ليزيد علما لان
السكران لا يرتقى بالسكر فى الحق والصحو انما هو
بالحق اما السكر فى الحق فهو النظر الى صفاته

والتنعم بما يرد عليه منه والتلذذ به واما الصحو بالله
فهو ان يتبرأ من نفسه ومن التذاذه واحواله فاذا
منح بعد ذلك شهود الذات كوشف بالقيومية
وهي صفات الألوهية فافنته عما سوى معبوده
ثم فنى عن فنائه واما الفنا فحقيقته في الحس
تلاشي الاجسام والاعراض وذهابها بالكلية ولما
كان كل ما سوى الله موجودا بالله وقائما به لا بنفسه
كان وجوده مجازا وكان القائم بنفسه المقيم لغيره
وجوده ثابتا حقيقيا استعير لمن اكرم بهذه المعرفة
لفظ الفنا لتلاشي الموجودات في عين قلبه حيث
شهد الكل مع القدرة كالطفل لا حكم له في الفعل
فاذا أُيّد هذا العبد وكمل ترقى الى مقام البقاء
لانه اذا لم يبق في القلب التفات الى غير الله
لدوام الشغل به عبر عن هذه الحالة بالبقاء مع
الله والوجود والبقاء اسمان بمعنى فالوجود اسم
للظفر بحقيقة الشئ والبقاء هو اجل الحقائق التى

يقصد الظفر بها وكذلك مقام الجمع لعله يريد به
الفرق الثاني لانه الجمع الاقصى الاسنى ولذا سمي
جمع الجمع خصوصا وقد قال بعض الاكابر ان مقام جمع
الجمع والفرق الثاني هو بعينه مقام الجمع في الجوهر وانه
تفاوتا في الرتبة والامر الكمالي فتدبر ترشد ان شاء الله)
قال بعض السادة الجمع ما اسقط التفرقة وقطع
الاشارة ومعناه ان يكون مذكورا بالله تعالى ومذكورا
منه تعالى والحمد لله وحده

الباب الثامن في بيان معنى الانس بالله تعالى)

اعلم ان من اجل مواريث المحبة الانس اما حقيقته
فهو استبشار القلب وفرحه لما انكشف له من قرب
الله تعالى وجماله وكماله وقال بعضهم حقيقة القرب
فقد حس الاشياء من القلب وهدو الضمير وسكونه
الى سكنه الاصلي الحقيقي وهو الله تعالى قلت وهذا
هو الوسيلة لنيل القرب لان هذا هو طهور القلب
عما سوى الله تعالى فاذا تطهر العبد عن السوى

كان الرب حاضرا مع العبد لانه ليس بين العبد
وبين ربه حجاب الا نفسه وعوارضها فاذا فنى
عنها وعن عوارضها وعلم قيام العالم كله بقدرة
الله تعالى عرف قرب الله تعالى منه وجملة ذلك
ان كل ذرة من العالم ومن الانسان قد تعلق علم
الله بها كشفا وارادته بها تخصيصا وقدرته
بها ايجادا وابقاءً والصفات لا تفارق الموصوف
بل صفاته تعالى قائمة بالموصوف فاذا نطق العارف
فلا ينطق بنفسه واذا سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا
ورد فى الحديث فالعارفون تنشأ احوالهم عن قرب
الله واما الابرار فتنشأ احوالهم عن ملاحظة
علمهم بوجود الرب مطلقا مع العلم باقتداره على
المنع والعطاء والاسعاد والاشقاء والعارفون
والعارفون يرون ربهم فى الدنيا بعين الايقان
والبصائر وفى الاخرى بابصار العيون فهو قريب
منهم فى الدارين وليس قربه منهم فى الاخرى مخالفا

لقربه في الدنيا الا بمزيد اللطف والعطف والا
فقدار تفع هنا وهناك قرب المسافة وليس
بلينه وبين مخلوق اضافة لا في العاجلة ولا في
الآجلة البتة وهذه المعرفة تثمر الأنس بشرط
الصفا والانس يثمر السكينة فهي صولة تعدل
طغيان القلب وتثبته وتوقفه على حد الاعتدال
في آداب الحضرة لان لذة القرب في الانس
تطير الباب العارفين وتوجب لهم الطغيان
لان الانسان يطغى عند الغنى واما الطمانينة
فهي وجود من بعد اعتدال بفرح واستبشار
لمعرفة القلب بالمزيد وهي مستصحبة مع الانس
لانها مقصودة في ذاتها والسكينة وسيلة تحثها
على الادب والاعتدال ومن ثمرات المحبة
الانبساط والادلال وذلك ان الانس
اذا دام انسه واستحكم ولم يشوشه قلق القلب
لقصور نظره على طيب حاله اثمر ذلك الانبساط

فى الاقوال والافعال والمناجاة فلا يليق ذلك
بحال التعظيم والإجلال الموجبين للهيبة فانه
يليق بالمستانس المنبسط ما لا يليق بالهائب
وذلك ان من افعال الله الجائزة له ان يرضى على قوم
بفعل ويغضب به على آخرين لاختلاف احوالهم
وللحكمة السابقة فيهم ولذلك يغار على كلامه
ان يسمعه الا لاهل خاصته قال الله تعالى (
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم
وقرا) وعبر عن السر فى ذلك فقال (ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم) وهذا حجاب الغيرة
فحقيقتها حفظ الوقت مع الحق من ان يشوشه
موشوش شحا عليه ومن ثمرات المحبة الشوق
وهو افضل من الانس لان الانس قصر نظره
على ما انكشف له من جمال المحبوب ولم يمتد
نظره الى ما غاب عنه والمشتاق كالعطشان
الذى لا ترويه البحار لمعرفته ان الذى انكشف له

من جمال المحبوب والامور الالهية بالنسبة الى
ما غاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة
الوجود ولله المثل الاعلى وهذه المعرفة
توجب الانزعاج والقلق والتعطش الدائم
لان حقيقة القلق سرعة الحركة لنيل المطلوب
مع اسقاط الصبر وحقيقة التعطش شدة
الطلب لما تاكدت الحاجة اليه ومن اشتد
قلقه وتعطشه وجد وحقيقة الوجد
هو الشوق الغالب على قلب الطالب وهذا
الوجد بعد حصوله ترد احوال الاول الدهش
قال الله تعالى (فلما رأينه اكبرنه وقطعن
ايديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم) وحقيقة الدهش غيبة القلب
عن احساسه لما فاجأه من الامر العظيم
الحال الثاني الهيمان وذلك انه اذا سكن قليلا
وتكرر طروقه صار القلب متهيجا متحيرا من

من حسنه وبهائه وهذا هو الهيمان لان حقيقة الهيمان
ذهاب التماسك تعجبا وتحيرا وهو اثبت دواما
الثالث انسه وتمكينه منه حتى كانه لم يدخل عليه
داخل ولم يطرقه طارق وهذا هو التمكين قال
بعض السادة التمكين اشارة الى غاية الاستقرار
وذلك ان ادنى حالة وجدها المحب مع الله مرة
تقوى عليه واخرى يقوى عليها مرة يكون واخرى
يثبت الى ان يتمكن فيستقر وهذا جار في كل
حال فاذا استقر ارتقى الى غيره السكون المرتقى
اليه حالا والمرتقى منه مقاما والله اعلم
واعلم ان هذه الاحوال ان وجدها المحب في الملا
دون الخلا فهو معلول يجب عليه المحاسبة
ومطالبة نفسه بالعلامات وان وجدها
في الخلا دون الملا فهو حسن ولكنه ناقص
عن ذروة الكمال اذ الكمال استواء الحالات
خلاءً وملاءً سفرا وحضرا فراغا وشغلا

لان الفراغ شرط فى البداية لا فى النهاية
واما حد الواجب من المحبة فهو الميل المسبب
عن نفس الاعتقاد باصول الايمان فيما يتعلق
بذات الله تعالى وصفاته فان جهل اصلا من الاصول
نقصت المحبة بقدره وكان عليه اثمان اثم الجهل
وانه فقد ثمرة المجهول واما حقيقة الايمان
فهو حضور القلب مع الله تعالى وشهوده لآثار
الدالة على وجوده ومن غلب عليه حال الانس
لم تكن له شهوة الا الانفراد والخلوة قال ابو
الحسين الرزاق لا يكون الانس بالله الا ومعه
التعظيم وكل من استانست به سقط من
قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لن تزيد
به انسا الا ازددت منه هيبة وتعظيما وقد
يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة
كلامه وسائر ابواب القربات وهذا القدر من
الانس نعمة من الله تعالى ومنحة لكنه ليس هو انس المحبة

ولكنه ليس هو الانس الذى هو حال المحبين والانس
حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه
بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب
والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندى
كنس الوجود بعاصفة لائح العظمة وانتشار الروح
فى ميادين الفتوح ولو استقل بنفسه اشتمل على القرب
وفى الهيبة اجتماع الروح وهذا الوصف انس الذات
وهيبة الذات يكون فى مقام البقاء بعد العبور على
ممر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذين يذهبان
بوجود الفناء لان الانس والهيبة قبل الفناء
يظهران من مطالعة الصفات من الجلال والجمال
وذلك مقام التلوين اما ما ذكرناه فهو بعد الفناء
وفى مقام التمكين والبقاء من مطالعة الصفات
الذات ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن
الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان
ويفترقان بفرق لطيف يدرك بانباء الروح

الباب التاسع

في بيان معنى الحياء والمراقبة ويضاف اليهما
الاحسان لانه غايتهما وكذلك الرعاية والحرمة
والادب لانهن من ثمراتهما

اعلم ان الحياء اول مقام من مقامات المقربين
كما ان التوبة اول مقام من مقامات المتقين
اما العلم الحامل على الحياء فهو علم العبد
باطلاع الله تعالى عليه وهذا واجب لانه من
الايمان بالله ولله تعالى وكذا معرفته بعيوب
نفسه وقصورها عن القيام بحق ربه سبحانه
وتعالى وهذا ايضا واجب لانه من الايمان
لله تعالى فيفتح له من هاتين المعرفتين حال
يسمى الحياء وهو اطراق عين القلب خجلا
من الله تعالى كتقصيره في واجب حقه تعالى
والقدر الواجب من هذه الحالة ما يحث على ترك
المحظورات وفعل الواجبات واما المراقبة

واما المراقبة والاحسان فهما لفظان متداخلان
متقاربان معنى اما ثمرة بدايتة المراقبة فهى رعاية
الخواطر وكشف ما التبس منها والادب مع
الله تعالى بحرمة مراقبته والحياء على وصف
عام وعلى وصف خاص فاما الوصف العام فهو
ما امر به رسول الله صعم فى قوله (استحيوا من الله
حق الحياء قالوا انا لنستحى يا رسول الله قال
ليس ذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء
فليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى
وليذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك
زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من
الله حق الحيا وهذا الحياء من المقامات
واما الحياء الخاص الذى هو من الاحوال
فهو ما روى عن بعضهم فى قوله (انى لاغتسل
فى البيت المظلم فانطوى حياءً من الله تعالى)
وعن احمد بن صالح قال سمعت محمد بن عبدون

يقول سمعت ابا العباس المؤذن يقول قال لى
سرى احفظ عنى ما اقول لك ان الحياء
والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا قلبا
فيه الزهد والورع حطا رحالهما والا ارتحلا
والحياء اطراق الروح اجلالا لتعظيم الجلال
والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا
كان غاية المنى والنهاية العظمى فى النعمى
قال بعض الحكماء من تكلم فى الحياء وهو لا يستحى
من الله عز وجل فيما يتكلم به فهو مستدرج
وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة فى القلب
مع حشمة مما سبق منك الى ربك وقال ابن
عطاء العلم الاكبر الهيبة والحياء ومتى ذهبا
من القلب فلا خير فيه وقال ابو سليمان ان
العباد عملوا على اربع درجات على الخوف
والرجا والتعظيم والحيا واشرفهم منزلة
من عمل على الحيا لما ايقن ان الله تعالى

يراه على كل حال استحى من حسناته اكثر من
استحياء العاصين من سيئاتهم وقال بعضهم
الغالب على قلوب المستحين الاجلال والتعظيم
دائما عند نظر الله تعالى اليهم والمراقبة على
درجتين مراقبة الصديقين ومراقبة اصحاب
اليمين اما الدرجة الاولى فهى مراقبة المقربين
وهى مراقبة التعظيم والإجلال وهى ان يكون
القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا
تحت الهيبة والوقار ولا يبقى فيه متسع للالتفات
الى الاغيار ولانرى الاطالة فى تفاصيل فضائل
هذه الدرجة فانها مقصورة على القلب اما
الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المناجاة
فضلا عن المنظورات فاذا تحركت بالطاعات
كانت كالمستعملة فلا تحتاج الى تدبير وتسبب
فى حفظها عن الانحراف عن سنن السداد
اما الدرجة الثانية فهى مراقبة الورعين

من اصحاب اليمين وهم قوم غلب اطلاع الله تعالى على
باطنهم وظاهرهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال ملتسعة للتلفت
الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال
لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى
فلا يقدمون على شئ ولا يحجمون عن شئ الا بعد
التثبت فيه ويمتنعون من كل ما يفتضحون به
فى القيامة فانهم يرون الله تعالى فى الدنيا مطلعا
عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة ويعرف
اختلاف الدرجتين بالمشاهدات والله سبحانه وتعالى
اعلم واحكم

(الباب العاشر)

فى بيان معنى القرب

قال الله تعالى لنبيه (واسجد واقترب) وورد عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم قوله (اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد) فالساجد اذا ذاق
طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوى

83

بسجوده بساط الكون ماكان وما يكون ويسجد على
طرف رداء العظمة فيقرب قال بعضهم انى لاجد
الحضور فاقول يا الله او يارب فاجد ذلك اثقل
على من الجبال قيل ولم ذلك قال لان النداء يكون
من وراء حجاب وهل رايت جليسا ينادى جليسه
وانما هى اشارات وملاحظات ومناغيات وملاطفات
وهذا الذى وصفه مقام عزيز يتحقق فيه القرب
ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك
لمن غابت نفسه فى نور روحه لغلبة سكره
وقوة محوه فاذا صحا وأفاق تخلص الروح من
النفس والنفس من الروح ويعود كل جزء من العبد
الى محله ومقامه فيقول يا الله ويا رب بلسان
النفس المطمئنة العائدة الى مقام حاجتها ومحل
عبوديتها والروح تشتغل بفتوحه بكمال الحال
عن الاقوال وهذا اتم واقرب من الاول
لانه فى محو القرب استقل الروح بالفتوح واقام

العبودية من النفس وقال الجنيد ان الله تعالى يقرب
من عباده على مقدار قربهم منه فانظروا ما تقرب
به اليه من قلبك وقال ابو يعقوب السوسى
ما دام العبد يكون شاعرا بالقرب لا يكون قريبا
حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا غرب عن رؤية
القرب فقد تحقق بالقرب وقال ذو النون
ما ازداد احد من الله قربة الا ازداد منه هيبة
وقال سهل ادنى مقام من مقامات القرب الحياء
وقال النصراباذى باتباع السنة تنال المعرفة
وباداء الفرائض تنال القرب وبالمواظبة على النوافل
تنال المحبة والحمد لله وحده (الباب الحادى عشر

فى بيان شرف العلم ووجوب طلبه والقدر الواجب منه)

اعلم ان العلم والعمل لاجلهما خلقت السموات والارض
وما فيهما قال الله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما)

وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم
ووجوب طلبه لاسيما العلم الالهى المسمى
بالعلم الاعلى حيث جعل الغاية من خلقة
السماء والارض وما فيهما ومن تنزل الامر
بينهن هو العلم بالله تعالى وشمول علمه وقدرته
واحاطتهما بكل شىء وقال تعم (وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون) وحسبك هذه
الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها
فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين
فحق على العبد ألا يشتغل الا بهما ولا يتعب
الا لهما ثم العلم هو اشرف الجوهرين ولكن
لابد مع العلم من العبادة والا بات هباءً
واعلم انه يجب تقديم العلم على العبادة لامرين
احدهما تصحيح العبادة وسلامتها والثانى ان
العلم النافع يورث الخشية والمهابة لله تعالى
فى قلب العبد وهما يثمران التقاء ويحزان عن

عن المعصية وليس وراء هذين مقصد للعبد
في عبادة ربه فعليك بالعلم النافع فعليك
ان تعرف مَن تعبد ثم تعبده والا فكيف تَعبُد
من لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته وما يجب
له وما يستحيل في نعته عليه فربما تعتقد في صفاته
شيئا مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباءً
ثم عليك ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات
الشرعية لتفعله كما امرت به وما يلزمك تركه
من المناهي الشرعية لتجتنبه كما امرت باجتنابه
واعلم ان العلم الذي طلبه فرض عين على كل مكلف
ثلاثة انواع الاول علم التوحيد والذي يتعين
عليك منه هو مقدار ما تعرف به اصول الدين
الثاني علم السر وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه
ومراجبه ومناهيه الثالث علم العبادات الظاهرة
المتعلقة بالابدان والاموال ثم اعلم ان من الله
عليك بعلم ما وجب عليك علمه وتركما وجب عليك تركه

فقد اديت ما اوجبه الله تعالى عليك وصرت من
العلماء العاملين وبالله التوفيق

الباب الثانى عشر فى بيان معانى الاسماء الحسنى

ان جوامع معانى الاسماء الحسنى ترجع الى ذات
وسبع صفات على مذهب اهل السنة خلافا
للمعتزلة والفلاسفة ثم ان الاسم غير التسمية
وغير المسمى وهذا هو الحق فحد الاسم انه اللفظ
الدال على المسمى واعلم ان كمال العبد وسعادته
انما هو فى التخلق باخلاق الله والتحلى بمعانى اسمائه
وصفاته بقدر ما يتصور فى حقه واياك ان تظن
ان المشاركة فى اى وصف توجب المماثلة هيهات
الم تعلم ان الله موجود لا فى محل وان الله تعالى حى
عالم قادر مريد سميع بصير متكلم فاعل والانسان
كذلك افترى ان مثبت هذه الاوصاف للانسان
يكون مشبها هيهات ليس الامر كذلك بل
المماثلة عبارة عن المشاركة فى النوع والماهية

والخاصية الالهية انه الموجود الواجب الوجود
لذاته الذى بذاته يوجد كل ما فى الامكان على
احسن وجوه الامكان والنظام وهذه الخاصية
لا يتصور فيها مشاركة ولا مماثلة البتة
بل لا يعرفها حقيقة الا الله تعالى فالخلق
كلهم لم يعرفوا الا احتياج هذا العالم المنظوم
المحكم الى صانع حى عليم قدير وهذه المعرفة
لها طرفان احدهما يتعلق بالعالم ومعلومه
انه يحتاج الى مدبر والآخر يتعلق بالله ومعلومه
اسام مشتقة من صفات غير داخلة فى حقيقة
الذات وماهيتها فان قولنا حى عالم قادر معناه
شئ مبهم له وصف الحياة والقدرة فما عرف احد
سوى نفسه اولا ثم قايس بين صفات الله
وصفات نفسه وتعالى صفات الله عن ان
تشبه صفاتنا فاذن يستحيل ان يعرف الله
تعالى بالحقيقة الا هو بل يستحيل ان يعرف النبى

الا النبي اما من ليس بنبي فلا يعرف من
النبوة الا اسمها فان قيل فما نهاية معرفة
العارفين بالله فنقول نهاية معرفتهم ان ينكشف
لهم استحالة معرفة كنه ذات الله تعالى وانما اتساع
معرفة العارفين بالله انما تكون في معرفة اسمائه
وصفاته فبقدر ما ينكشف لهم من معلوماته
وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة
يكون تفاوتهم في معرفته سبحانه والله اعلم

فصل في جوامع معاني الاسماء الحسنى

اعلم ان جملة معاني اسماء الله الحسنى ترجع الى
عشرة اقسام الاول ما يدل على الذات فقط كلفظ
الجلالة ويقرب منه اسم الحق تعالى اذا اريد به الذات
من حيث هي واجبة الوجود القسم الثاني ما يرجع
الى الذات مع سلب مثل القدوس والسلام والغني والاحد
ونظائرها فان القدوس هو المسلوب عنه كل ما
يخطر بالبال ويدخل في الوهم والسلام هو المسلوب

عنه كل نقص وعيب والغنى هو المسلوب عنه كل حاجة
والاحد هو المسلوب عنه النظير والقسمة الثالث
ما يرجع الى الذات مع اضافة: كالعلى والعظيم
والاول والآخر والظاهر والباطن ونظائرها
فان العلى هو الذات الذى هو فوق سائر الذوات
فى الرتبة فهى اضافة والعظيم ما يدل على الذات
من حيث تجاوز حدود الادراكات والاول هو
السابق على جميع الموجودات والآخر هو الذى
اليه مصير الموجودات والظاهر هو الذات
بالاضافة الى ادراك الحس والوهم القسم الرابع
ما يرجع الى الذات مع سلب واضافة: كالملك والعزيز
فان الملك هو الذات الذى لا يحتاج الى شئ ويحتاج
اليه كل شئ والعزيز هو الذى لا نظير له وهو ما
تشتد الحاجة اليه ويصعب نيله والحصول عليه
القسم الخامس ما يرجع الى الذات مع صفة
ثبوتية كالحى والعالم والقادر والمريد والسميع

والبصير والمتكلم السادس ما يرجع الى العلم مع
اضافة كالحكيم والخبير والشهيد والمحصى فان
الحكيم يدل على العلم مضافا الى اشرف المعلومات
والخبير يدل على العلم مضافا الى الامور الباطنة
والشهيد يدل على العلم مضافا الى ما يشاهد والمحصى
يدل على العلم مضافا الى معلومات محصورات معدودة
التفصيل السابع ما يرجع الى القدرة مع زيادة
اضافة كالقوى والمتين والقهار فان القوة
هى تمام القدرة والمتانة شدتها والقهر تاثيرها
فى المقدور بالغلبة الثامن ما يرجع الى الارادة
مع فعل واضافة كالرحمن والرحيم والرءوف
والودود فان الرحمة ترجع الى الارادة مضافة
الى قضاء حاجة المحتاج الضعيف والرافة شدة
الرحمة وهى مبالغة فى الرحمة والودود يرجع الى
الارادة مضافة الى الاحسان والانعام وفعل
الرحمة يستدعى محتاجا وفعل الود لا يستدعى

ذلك بل الانعام على سبيل الابتدا التاسع ما
يرجع الى الذات مع صفة اضافية كالخالق
والبارى والمصور والوهاب والرزاق والفتاح
والقابض والباسط والخافض والرافع والمعز
والمذل والعدل والمقيت والمغيث والمجيب
والواسع والباعث والمبدئ والمعيد والمحيى
والمميت والمقدم والمؤخر والولى والبر والتواب
والمنتقم والمقسط والجامع والمعطى والمانع
والمغنى والهادى ونظائرها العاشر ما يرجع
الى الدلالة على الفعل مع اضافة كالمجيد والكريم
واللطيف فان المجيد يدل على سعة الاكرام مع
شرف الذات والكريم كذلك واللطيف يدل
على الفعل مع رفق ولا تخرج هذه الاسامى
وغيرها عن هذه الاقسام

فصل فى بعض مزايا الباقيات الصالحات

اعلم ان معانى اسماء الله الحسنى مندرجة فى اربع

كلمات هن الباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر) فالكلمة الأولى سبحان الله
ومعناها فى كلام العرب التنزيه والسلب فهى مشتملة
على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته فما كان
من اسمائه سلبا فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس
وهو الطاهر من كل عيب والسلام وهو الذى سلم
من كل آفة الكلمة الثانية الحمد لله وهى مشتملة
على اثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته تعالى فما كان
من اسمائه متضمنا للاثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير
فهو مندرج تحتها فنفينا بالكلمة الاولى كل عيب عقلناه
وكل نقص فهمناه واثبتنا بالثانية كل كمال عرفناه وكل
جلال ادركناه ووراء ما اثبتناه ونفيناه شان
عظيم قد غاب عنا وجهلناه فتحققه من جهة الاجمال
بقولنا الله اكبر وهى الكلمة الثالثة ومعناها انه اجل
مما نفيناه واعظم مما اثبتناه وذلك معنى قوله صلعم
لا احصى ثناءً عليك انت كما اثنيت على نفسك

فما كان من اسمائه متضمنا ما هو فوق ما عرفناه
وادركناه كالاعلى والمتعالى فهو مندرج تحت قولنا
الله اكبر فاذا كان فى الوجود ما هذا شانه نفينا
ان يكون فى الموجودين من يشاكله او يناظره فحققنا
ذلك بقولنا لا اله الا الله وهى الكلمة الرابعة
اذ الالوهية ترجع الى استحقاق العبودية ولا
يستحق العبودية الا من اتصف بجميع ما ذكرناه
فما كان من اسمائه متضمنا للجميع على الاجمال كالواحد
الاحد وذى الجلال والاكرام فهو مندرج تحت
قولنا لا اله الا الله وانما استحق العبودية لما
وجب له من اوصاف الجمال ونعوت الكمال الذى لا يصفه
الواصفون ولا يعده العادون ولو ادرجت الباقيات
الصالحات تحت كلمة على سبيل الاجمال لكانت تلك
الكلمة هى الحمد لله لاندرجت فيها كما قال الامام
ابن ابى طالب كرم الله وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من
شرح قول الحمد لله لفعلت فان الحمد هو الثناء والثناء

يكون باثبات الكمال تارة وسلب النقص أُخرى وتارة
ثالثة يكون اعترافا بالعجز عن درك الادراك ومرة
رابعة يكون عبارة عن التفرد بالكمال وقد اشتملت
هذه الكلمة على ما ذكرناه في الباقيات الصالحات
لان (أل) فيها لاستغراق جنس الحمد سواء ما
علمناه وما جهلناه ولا خروج للحمد عن شئ مما ذكرناه
ولا يستحق الالوهية الا من اتصف بجميع ما بيناه
ولا يخرج عن هذا الاعتقاد ملك مقرب ولا نبي
مرسل ولا احد من اهل الملل الا من خذله الله واتبع
هواه وكان امره فرطا بعصيانه امر مولاه اولئك
قوم قد غمرهم ذل الحجاب وطردوا عن الباب وابعدوا
عن ذلكم الجناب وحق على من حجب في الدنيا عن
اجلاله وعرفانه ان يحجب في الآخرة عن اكرامه ولقيانه

الباب الثالث عشر في العقيدة الصحيحة

ومعنى الاعتقاد اتخاذ عقد صورة علم او ظن في القلب
بوجود المغيبات والعلم الاعتقاد الجازم المطابق

للواقع قال لبعض الاكابر العلم نور اذا نزل فى
القلب ينفذ شعاعه الى حيث المعلوم ويتعلق
به كما يتعلق نور العين بالمرئى والاعتقاد الصحيح
هو الخالى عن التعطيل والالحاد والتشبيه
والتجسيم والتكييف والتنقيص والحلول والاتحاد
والاباحة وغير ذلك وان يكون معه التنزيه
والعظمة والكبرياء كما كانت عليه الاصحاب
الانجاب رضوان الله عليهم ودليله الكتاب
والسنة واجماع الامة ثم قال على العبد ان
يعلم ان الله تعالى واحد احد فرد فى ذاته
وصفاته لا مثل له فى ذاته ولا ند له فى صفاته
ولا شريك له فى ملكه ولا حدوث فى صفاته
ولا زوال لملكه ولا بداية لقدمه ولا نهاية
لبقائه دائم الوجود ولا آخر له قيوم الموجودات
لا انقطاع له لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات
الجلال والجمال لا نهاية لكبريائه ولا غاية

لعظمته واعتلائه وجلاله ليس بجسم ولا جسمانى
ولا بروح ولا روحانى ولا بجوهر محدود ولا بحلة
الجواهر بل هو خالق الاشياء احد صمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد منزه عن الحركة
والانتقال والجهة والمكان وانه تعالى قريب من
كل موجود وانه اقرب الى العبد من حبل الوريد
وقربه من الخلق ليس كقرب الخلق بعضهم من بعض
بل هو قرب يليق به تعالى سئل الجنيد قدس سره
عن القرب فقال قريب لا بالتزاق بعيد لا بافتراق
ولا كيفية لقربه ومعيته وكما انه ليس كمثله
شئ كذلك قربه ومعيته ليس كمعية احد وقربه
وانه تعالى كان ولم يكن معه شئ وهو الان على
ما عليه كان (فصل فيما يتعلق بظواهر المتشابهات
اعلم ان من اجرى الاستوا على العرش على ما ينبئ عنه
ظاهر اللفظ وهو الاستقرار فقد التزم التجسيم وان تشكك
فى ذلك فهو فى حكم المصمم على التجسيم ايضا وان قطع باستحالة

الاستقرار فقد تاول الظاهر وهو اعتقاد اهل
الحق وكذلك من اجرى النزول على ماينبئ عنه ظاهر
اللفظ وهو الحركة والانتقال فقد التزم التجسيم
وان قطع باستحالة الحركة فقد تاول الظاهر وهو
اعتقاد اهل الحق واعلم ان الاعراض عن تاويل
المتشابهات خوفا من الوقوع فى محظور من الاعتقاد
يجر الى الشك والايهام وزلل العوام وتطريق الشبهات
الى اصول الدين وتعريض بعض آى التنزيل لوجه
الظنون اقرب الى الصواب والحمد لله وحده وهذه
العقيدة الصحيحة السليمة هى لصاحب قلب سليم
سلم من البدعة ومن استيلاء وساوس الشيطان
وهواجس النفس وزين بالتقوى وايد بالهدى
وهذب بالورع وغذى بالذكر والله ولى الهداية

(الباب الرابع عشر فى بيان صفات الله عز وجل)

الصفات الثبوتية سبعة وهى الحياة والعلم
والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام

وكل صفة من هذه الصفات زات تعلق ما عدا الحياة
فانها ينبوع الكمالات فالعلم يتعلق باقسام المعلوم
الثلاثة جميعا فالواجب هو زات الله وصفاته والجائز
هو الممكنات والمستحيل هو الذى لا يمكن وجوده والارادة
تعلقها تخصيص وهو ترجيح احد طرفى الامكان على
الآخر كالوجود على العدم والقدرة تعلقها تاثير وهو
ابراز معدوم او اعدام موجود فلولا سبق العلم لم
يحصل تخصيص ولولا التخصيص لم يحصل تاثير
والسمع يتعلق بكل مسموع والبصر بكل موجود والكلام
يتعلق بكل متعلقات العلم وهذه الصفات كلها قائمة
بذات الله تعالى وتنقسم الى ما تعلقه كشفا كالعلم
والسمع والبصر وما تعلقه تخصيصا كالارادة وما
تعلقه تاثير كالقدرة والى ما تعلقه لا تعلق كشف
ولا تاثير كالكلام واعمها تعلقا العلم والكلام واخصها
السمع ومتوسطها البصر والبقاء هو استمرار الوجود
وليس هو وصفا زائدا على مفهوم الذات وعند مذهب الاشاعرة

ان هذه الصفات زائدة على الذات والقدرى على انها عين
الذات والطبائعية على ان النار تحرق بطبعها وكذا
كل الاسباب الطبيعية ومذهب اهل الحق ان التاثير
بالقدرة الالهية ومذهب جمهور المتكلمين ان
هذه الصفات امور عينية وغيرهم من المحققين
على انها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة اذ لا
كثرة هناك اصلا كما زعم من لا عرفان له من
النظار والحق انها ليست غيره والا لكان
الاله مفتقرا الى غيره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
(الباب الخامس عشر في بيان حقيقة الاخلاص والريا وحكمهما)
اعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص
العمل واخلاص طلب الاجر فاما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب
الى الله وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضده
النفاق واخلاص طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة وضده الريا وهو
ارادة الدنيا بعمل الآخرة واما تاثيرهما فهو ان الاول يجعل الفعل قربة
والثاني يجعله مقبولا اما النفاق فهو محبط العمل والريا يوجب رده

اعلم ان معانى اسماء الله الحسنى مندرجة فى
اربع كلمات هن الباقيات الصالحات (سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر)
فالكلمة الاولى (سبحان الله) ومعناها فى كلام
العرب التنزيه والسلب فهى مشتملة على
سلب النقص والعيب عن ذات الله تعالى
وصفاته فما كان من اسمائه سلبا فهو مندرج
تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من
كل عيب والسلام وهو الذى سلم من كل آفة
الكلمة الثانية (الحمد لله) وهى مشتملة على اثبات
ضروب الكمال لذاته وصفاته سبحانه
وتعالى فما كان من اسمائه متضمنا للاثبات
كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج
تحتها فنفينا بالكلمة الاولى (سبحان الله)
كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه واثبتنا
بالثانية (الحمد لله) كل كمال عرفناه وكل جلال

ادركناه ووراء ما اثبتناه ونفيناه شان
عظيم قد غاب عنا وجهلناه فنحققه من
جهة الاجمال بقولنا (الله اكبر) وهي الكلمة
الثالثة ومعناها انه اجل مما نفيناه واعظم
مما اثبتناه وذلك معنى قوله صلى الله عليه
وسلم (لا احصى ثناءً عليك انت كما
اثنيت على نفسك) فما كان من اسمائه
ما هو فوق ما عرفناه وادركناه كالاعلى
والمتعالى فهو مندرج تحت قولنا (الله اكبر)
فاذا كان فى الوجود ما هذا شانه نفينا ان
يكون فى الموجودات من يشاكله او يناظره
فحققنا ذلك بقولنا (لا اله الا الله) وهى
الكلمة الرابعة اذ الالوهية ترجع الى
استحقاق العبودية ولا يستحق الالوهية
الا من اتصف بجميع ما ذكرناه فما كان
من اسمائه متضمنا للجميع على الاجمال كالواحد
الاحد وذى الجلال والاكرام فهو مندرج تحت

لا آله الا الله وانما استحق العبودية لما وجب له
من اوصاف الجمال ونعوت الكمال الذى لا يصفه
الواصفون ولا يعده العادون ولو ادرجت
الباقيات الصالحات فى كلمة على سبيل الاجمال
وكانت تلك الكلمة هى (الحمد لله) لاندرجت فيها
كما قال السيد الجليل امام المؤمنين كرم الله وجهه الو
شئت ان اوقر بعيرا من شرح قول الحمد لله لفعلت
فان الحمد هو الثناء والثناء يكون باثبات الكمال
تارة وسلب النقص اخرى وثالثة يكون بالاعتراف
بالعجز عن درك الادراك ورابعة يكون عبارة عن
اثبات التفرد بالكمال وقد اشتملت هذه الكلمة
على ما ذكرناه فى الباقيات الصالحات لان (ال)
فيها لاستغراق جنس المدح والحمد سواء ما علمناه
وما جهلناه ولا خروج للمدح عنه شىء مما ذكرناه ولا
يستحق الالهية الا من اتصف بجميع ما ذكرناه
ولا يخرج عنه هذا الاعتقاد ملك مقرب ولا نبى
مرسل ولا احد من اهل الملل الا من خذله الله تعالى

واتبع هواه وكان امره فرطا اولئك قوم قد غمرهم
ذل الحجاب وطردوا عن الباب وابعدوا عن ذلك
الجناب وحق على من حجب فى الدنيا عن اجلاله
وعرفانه ان يحجب فى الآخرة عن اكرامه ولقيانه

الباب الثالث عشر فى العقيدة الصحيحة

ومعنى الاعتقاد اتخاذ عقد صورة علم او ظن فى القلب
بوجود المغيبات والعلم الاعتقاد الجازم المطابق
للواقع قال بعض الاكابر العلم نور اذا نزل فى القلب
ينفذ شعاعه الى حيث المعلوم ويتعلق به كما يتعلق نور
العين بالمرئى والاعتقاد الصحيح لعوام الخالى عن
التعطيل والالحاد والتشبيه والتجسيم والتكييف
والتنقيص والحلول والاتحاد والاباحة ونحو ذلك
والله يكون مع التنزيه والعظمة والكبرياء كما كان عليه
السلف الصالح رضوان الله عليهم ودليله الكتاب والسنة
واجماع الأمة ثم قال على العبد ان يعلم ان الله تعالى
واحد احد فرد فى ذاته وصفاته لا مثل له فى ذاته
ولا ند له فى صفاته ولا شريك له فى ملكه ولا حدوث
فى صفاته ولا زوال لملكه ولا بداية لقدمه ولا نهاية
لبقائه دائم الوجود ولا آخر له قيوم الموجودات

لا انقطاع له لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات
الجلال والجمال لا نهاية لكبريائه ولا غاية
لعظمته وجلاله ليس بجسم ولا جسماني ولا
بروح ولا روحاني ولا بجوهر محدود ولا تحله
الجواهر بل هو خالق الاشياء احد صمد لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد منزه
عن الحركة والانتقال والجهة والمكان وانه
تعالى قريب من كل موجود وانه اقرب الى العبد
من حبل الوريد وقربه من الخلق ليس كقرب
الخلق بعضهم من بعض بل هو قرب يليق به تعالى
سئل الجنيد قدس الله روحه عن القرب فقال قريب
لا بالتزاق بعيد لا بافتراق ولا كيفية لقربه ومعيته
وكما انه ليس كمثله شئ كذلك قربه ومعيته ليس
كمعية احد وقربه وانه تعالى كان ولم يكن معه
شئ وهو الآن على ما عليه كان

فصل فيما يتعلق بظواهر المتشابهات

اعلم ان من اجرى الاستوا على العرش على ما ينبئ عنه
ظاهر اللفظ وهو الاستقرار على العرش فقد التزم
التجسيم وان تشكك في ذلك كان في حكم المصمم
على التجسيم ايضا وان قطع باستحالة الاستقرار على
العرش فقد تاول الظاهر وهو اعتقاد اهل الحق
وكذلك من اجرى النزول على ما ينبئ عنه ظاهر اللفظ
وهو الحركة والانتقال فقد التزم التجسيم ايضا وان
قطع باستحالة الحركة والانتقال فقد تاول الظاهر
وهو اعتقاد اهل الحق واعلم ان الاعراض عن
تاويل المتشابه خوفا من الوقوع في محظور من الاعتقاد
يجر الى الشك والايهام واستزلال العوام وتطريق
الشبهات الى اصل الدين وتعريض بعض آيات كتاب
الله العزيز الى رجم الظنون اقرب الى الصواب وهذه
العقيدة الصحيحة السليمة لصاحب قلب سليم سلم من
البدعة ومن استيلاء وساوس الشيطان وهواجس

النفس وزينه بالتقوى وايد بالهدى ولهذب
بالورع وغذى بالذكر والله تعالى اعلم

